الفصل الثالث

دور الفقهاء السياسى في شرق الأندلس

١ ـ تمهيد تاريخى عن تاريخ مدينة بلنسية قاعدة شرق الأندلس في عصر ملوك الطوائف

٢ ـ ثورة القاضى ابن جحاف فى بلنسية .

٣ ـ القاضى ابن جحاف والسيد القمبيطور.

٤ ـ نهاية القاضى ابن جحاف .

تـمـهـيـد

يعنى مفهوم شرق الأندلس أو(*Levante*) من الناحية الجغرافية المناطق الأسبانية التى تطل على ساحل البحر المتوسط الغربى(١) ، أى المنطقة الممتدة من طركونة شمالاً (٢) حتى مرسيه ولورقه (٣) جنوباً ، والتى تشمل كور طرطوشة (٤) وبلنسية وتدمير(٥) وجزر البليار ، بما فى ذلك كورتى سهلة بنى رزين (٦) والثغر الأعلى حسبما يشير ابن سعيد المغربى (٧) .

وقد بدأ هذا المفهوم يتحدد من الناحية السياسية منذ استقلال الفتيان العامرية بهذه المنطقة بعد تغلب البربر على حكومة قرطبة وإنهيار الدولة العامرية بمقتل

---

(١) أنظر مادة (Levante) فى :
Enciclopedia Universal , Tomo XXX , Espasa Calpa , Madrid - Barcclone P. 291

(٢) طركونه Tarragone وصفها الحميرى بأنها مدينة أزلية وقاعدة من قواعد العمالقة ، وهى مبنية على ساحل البحر الشامى ومعالمها باقية لم تتغير ، وأكثر سورها باق لم يتهدم ، وهى أكثر البلاد رخاما محكما وسورها من رخام أسود وأبيض وقليلا مايوجد مثله ، ومعناها الأرض المشبهة بالمعجنة ، وكانت فى قديم الزمان خالية لأنها كانت فيما بين حد المسلمين والروم ، والأحناش بها مؤذية كثيرة ومياهها كثيرة . أنظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩٢ .؛ الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٦ .

(٣) لورقه Lorca هى جزء من بلاد تدمير فى الأندلس وهى كثيرة الزرع والضرع والخمر تقع على ظهر جبل وبها أسواق وربض فى أسفل المدينة وعلى الربض سور وفى الربض السوق ، بها كثير من المعادن تحمل إلى كثير من الأقطار ، وتعنى لورقه باللغة اللاتينية الدرع الحصين . العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ١ .؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥١٢ .

(٤) طرطوشة Tartosa وتقع شمال شرقى الأندلس وخى من أعمال طركونة وتقع شرقى قرطبة وشرق بلنسية فى الإقليم الخامس ، لها حصون كثيرة وأقاليم واسعة ، أشتهرت بدار صناعتها ومسجدها الذين أنشأهما الخليفة عبدالرحمن الناصر ، استقل بها الصقالبة فى القرن الخامس الهجرى ثم انضمت لسرقسطة حتى وقعت فى يدى النصارى سنة ٥٤٣هـ . أنظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٠٠ ؛ ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ؛ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٩ ؛ كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية وحضارتها فى عصر دويلات الطوائف ، كلية التربية، جامعة الإسكندرية ، ب ، ت ، ص ١٨ .

(٥) من كور الأندلس سميت بأسم ملكها تدمير وردت فى كتاب الصلح الذى صالحه عليه عبدالعزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤هـ . أنظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٣١ ،١٣٢ .

(٦) وتسمى شنتمرية الشرق Santaver تقع فى شرق الأندلس ، سميت بشنتمرية بنى رزين إنتسابا إلى هذه الأسرة التى حكمتها منذ العصر الأموى وحتى دخول المرابطين إلى الأندلس ، وهى أسرة من أصل بربرى . أنظر : ابن خاقان : قلائد العقيان ، جـ ٢،١ ، ص١٥٧ و ١٦٩ .؛ الزركلى : الأعلام ، جـ ٨ ، ص ٧٩ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٧) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢ .

"عبدالرحمن شنجول "، وتربع " محمد بن هشام المهدى "على كرسى الخلافة فى جمادى الآخر سنة ٣٩٩هـ فبراير ١٠٠٧م، فتوجس الفتيان العامرية من غدر البربر ، ففروا من قرطبة إلى شرق الأندلس ، واستقل فحولهم مثل " مجاهد العامرى " (٨) الذى غلب على مدينة دانية (٩) والجزائر الشرقية، و " لبيب " الذى غلب على طرطوشة ،و"مظفر"و(١٠) " مبارك " على بلنسية و" نبيل " على شاطبة (١١) .

(٨) مجاهد العامرى أبو الجيش الملقب بالموفق بالله صاحب دانية إستقل بها بها سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م وقد أسهبت المصادر فى ذكر محاسنه وتطلعه للمجد والسلطان إضافة إلى حبه للعلم وتشجيعه للعلماء مثل أبى عمر بن عبدالبر و ابن سعيد وأبى عمر والمقرى ، وقد ألف مجاهد كتابا فى العروض ، إضافة إلى حبه للعلوم الدينية ، ويذكر أنه كان حاجبا للأمير عبدالله فى العصر الأموى ، وكان من أوائل الذين إستقلوا بإمارات فى شرق الأندلس وكان يحكم باسم الخليفة هشام الثانى ثم باسم الخليفة المعيطى الذى كان ينتسب إلى الأمويين وكان فقيها ، وعندما هرب المعيطى من قرطبة إلى دانية إتخذه مجاهد مستشارا له ولكنه تخلص منه بعد ذلك ولم يدم حكم المعيطى سوى عامين وبايع مجاهد الخليفة المرتضى ، ويذكر أنه غزا سردانية وقام بحملات ناجحة عليها وتوفى سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٥م . أنظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٥٥ – ١٥٧ . ؛ العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣.؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢١٧ – ٢٢٠ . ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢١٠ ، ٢١١.؛ كليليا سارنللى تشركوا: مجاهد العامرى قائد الإسطول العربي في غرب البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري ،ط القاهرة ،سنة١٩٦١م، ص ١٢٣ . ؛ سحر سالم : بنو خطاب بن عبد الجبار التدميرى ، الإسكندرية ،ط سنة ١٩٨٩م ، ص ٥١ ،٣٠

(٩) مدينة دانيه Denia : تطل على ساحل البحر المتوسط ، وتقع جنوبى مدينة بلنسيه وهى الآن تابعة لمحافظة لقنت وبها دار لصناعة السفن وهى مدينة قديمة نشأت منذ عهد الرومان وإسمها الرومانى Dianium وسقطت من الحكم الإسلامي سنة ٦٤٢م . أنظر : الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٨٢ .؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٣٢ .؛ مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ت : لويس مولتيا ، ص ٧٥ .الحموي :معجم البلدان ،جـ٢،ص٤٣٤. ؛محمد أحمد أبو الفضل : شرق الأندلس في عصر الموحدين ،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية، طسنة١٩٩٢م، ص٤٢.؛عبير زكريا سليمان:التاريخ السياسي والحضاري لمدينة دانية الأندلسية منذ سقوط الدولة العامرية وحتى إستيلاء الأرغونيين عليها ،رسالة دكتوراه غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة طنطا، سنة٢٠٠٠م.

(١٠) الجزائر الشرقية : أوجزر البليار أوجزر شرق الأندلس هى يابسة وميورقة ومنورقه وكبريرة وفرمنتيره ، ارتبط تاريخها بتاريخ شرق الندلس وشكلت الدرع الواقى له . أنظر : عصام سيسالم : جزر الأندلس المنسيه ، دار العلم للملايين ، ط١ ، سنة ١٩٨٤م .

(١١) شاطبة Jativa مدينة فى شرق الأندلس من أعمال بلنسية ، تقع فى الجنوب الغربى لمدينة بلنسية ، قريبة من جزيرة شقر ، وهى كثيرة الزرع متقنة حصينة قديمة بها آثار للأول وبها قصبتان منيعتان وسور وجامع ومساجد وفنادق وأسواق ويحيط بها الوادى ، أشتهرت بصناعة الورق فى العصر الإسلامى ، ظلت تابعة لبلنسية حتى سقطت فى يد النصارى سنة ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م .أنظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٩٦ ، ٩٧ .؛ العذرى: ترصيع الأخبار ، ص ١٨ .؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٢٣ . ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٧؛ سحر سالم : شاطبة الحصن الأمامى فى شرق الأندلس فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، سنة ١٩٩٥م .

و " خيران العامرى " (١٢) ،على مرسية وأوريولة (١٣) .

ومنذ ذلك الوقت خرجت منطقة شرق الأندلس من سيطرة الحكومة المركزية فى قرطبة ، وقامت بها دويلات الطوائف ، حتى أننا نجد اصطلاح شرق الأندلس يتداول فى كتابات المؤرخين (١٤) .

وتعتبر بلنسية من أهم كور شرق الأندلس ، ويتبعها سائر الأراضى والقواعد الممتدة شمالاً من شاطبة إلى الثغر الأعلى ومن البحر غرباً حتى قونكة (١٥) .

خضعت بلنسية فى بداية عصر الطوائف لحكم الفتيان العامرية كدويلة مستقلة من دويلات الطوائف وشاركت بدور بارز فى حوادث شرق الأندلس باعتبارها محور الصراع من أجل النفوذ والسلطان فى تلك المنطقة (١٦) . فعندما احتدمت نار الفتنة فى أعقاب إنهيار الدولة العامرية تمكن "المهدى محمد بن هشام بن عبدالجبار" من انتزاع الخلافة من " هشام المؤيد "، وكان على بلنسية . وفقاً لبعض الروايات . فتى من الفتيان العامريين هو"مجاهد العامرى "، فثار عليه إثنان من الصقالبة هما " مبارك و مظفر" تغلبا

---

(١٢) خيران العامرى تقلب فى مناصب الجيش فى عهد هشام الثانى حتى أصبح أحد القواد الذين عينهم للدفاع عن قرطبة لصد هجمات البربر التى كان يقودها سليمان بن الحكم ، فجرح فى المعركة وأخذه رجل من البربر حتى شفى ثم فر إلى شرق الأندلس ، وقد استولى على المرية سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م وله بها آثار خالدة ثم استولى على أوريولة فى العام التالى ثم جيان ثم المرية ثم مرسية . وازدهرت فى عهده العمارة والصناعة ونظام الرى وعظم شأنه فىبلاد تدمير التى أصبحت تحت سيطرته ووصلت مدة ولايته لها أربعة عشر عاما ، وتوفى سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م . أنظر العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ١٦.؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .؛ ابن خلدون:العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٠٨ ؛ كاليليا سارنيلى : مجاهد العمرى ، ص ١٠٩ ، ١١٢ .؛ أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى أسبانيا ، ص ١٨ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ١٥٩ ـ ١٦٢ .؛ سحر سالم : بنوخطاب ص ٥٠ .؛ ديوان ابن دراج القسطلى : ت. محمود مكى ، طـ ٢ ، المكتب الإسلامى ، ١٣٨٩هـ ، ص ٦٨ .

(١٣) أوريولة Orihuela مدينة قديمة أزلية كانت قاعدة للروم ثم استولى عليها عبدالعزيز بن موسى بن نصير وهى من كور تدمير تبعد عن مرسية إثنا عشر ميلا ، ولى قضاءها أبو الوليد الباجى . أنظر العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ١٦.؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦٧ .؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٠٨ .

(١٤) راجع على سبيل المثال العذرى : ترصيع الأخبار ص١٧ . ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ،مج ١ ، ص٩.؛ ابن خلدون: العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٥٥ .؛ محمد أحمد أبو الفضل : شرق الأندلس فى عصر الموحدين ، ص ٣٥ ، ٣٦

(١٥) قلعة قونكة Cuanca : مدينة من اعمال شنتمرية ، وهى من أمتع حصون الثغر ، ثم انضمت لبلنسية ، وفى عصر الموحدين استطاع ألفونسو الثامن أن يستولى عليها سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م وأصبحت مدار حرب بين أراغون وقشتاله . أنظر ابن الأبار:الحلة السيراء،جـ٢ ، ص ٢٢٨ . ؛ الحموى : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٤١٥.

(١٦) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٧ .

عليه وانتزعا منه سلطانه عليها ، وعندئذ ترك لهما " مجاهد العامرى " مدينة بلنسية ورحل إلى دانية (١٧) . وهناك رواية أخرى لابن حيان - نميل إلى الأخذ بها - عن وصول "مبارك ومظفر" إلى حكم بلنسية مفادها أنهما كانا فى بادئ الأمر يتوليان وكالة الساقية ببلنسية ثم حدث أن صرفا عنها واضطرا إلى المثول بقرطبة حاضرة الخلافة أمام الوزير "عبد الرحمن بن يسار" وذلك سنة ٤٠١هـ / ١٠٠٩م ، فاستعطفاه وتوسلا إليه ، فكان سبباً لردهما إلى عملهما ، فعادا إلى بلنسية ، ولم يلبث أن ضرب الدهر ضرباته كما يفهم من رواية ابن حيان فقضى لهما بالإمارة هناك ، بينما نالت " ابن يسار" محنة قرطبة بعد ذلك(١٨) . ومع ذلك فهناك من الروايات ما أشارت إلى أن " مظفر" اختص بحكم بلنسية فى حين انفرد صاحبه "مبارك"بحكم شاطبة (١٩) .

استمر "مبارك" وزميله "مظفر " يتوليان أمر بلنسية بضع سنوات حتى سنة ٤٠٨هـ ١٠١٦م ، وبلغت جبايتهما مائة وعشرين ألف دينار فى الشهر الواحد سبعون منها من بلنسية وخمسون من شاطبة ، وتذكر المصادر التاريخية أنهما كانا يتعسفان فى تحصيل هذه الأموال ويتشددان فى جبايتها ، وقد تجردا من مشاعر الرحمة والشفقة على الرعية الذين أرهقهم تحمل هذا العسف وناءوا بأثقاله فى الوقت الذى تزايد فيه خراج هذين الفتيين العامريين،وتمتعا بالترف الفاحش على حساب بؤس الرعية وشقائها(٢٠) .

وعلى الرغم من الثراء الفاحش وحياة الترف الزائد التى كان ينعم بها كل من مبارك ومظفر فى بلنسية فقد كان معظم رعيتهما فى كورة بلنسية يعانون من شظف العيش ويقاسون مرارة الجوع والفقر والحرمان بسبب الضرائب الباهظة التى أثقلت كاهلهم حتى غدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر، يأكلون البقل والحشيش ، كما أدت

(١٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص٣٠١ ، ٣٠٢ .
(١٨) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ،جـ ١ ، ص ١٤ ، ١٥ .
(١٩) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٧ .
(٢٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٦١ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ص١٢٢

سياسة العنف التى انتهجها أميرا بلنسية مع المزارعين إلى حمل العدد الأعظم منهم على الفرار وهجر أراضيهم فوضع عليها مبارك ومظفر أيديهما واستوليا عليها (٢١).

ومما لاشك فيه أن هذه السياسة كانت سبباً فى حمل أهل بلنسية على بغض أميريهم وتمنيهم التخلص من حكمهما الغاشم، وقد ذكرت بعض الروايات أن " مبارك " ركب جواده يوماً من قصر بلنسية بقصد الخروج للنزهة خارج المدينة، فاعترض الأهالى موكبه، وأخذوا يشكون إليه ما يلاقونه من الجور والعسف، ويتوسلون إليه أن يرفق بهم فقال لهم :" اللهم إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يعم المسلمين نفعه فلا تؤخر عقوبتى الساعه" ثم واصل موكبه بعد ذلك، فما كاد يصل إلى القنطرة الخشبية حتى تعثر فرسه فسقط واعترضته خشبة بارزة من القنطرة شرخت وجهه فسقط على الأرض وسقط الفرس فوقه ففتق بطنه وفاضت روحه ،فأمن الناس من مقته وكفاهم الله شره، وفى غمرة فرحتهم وسعادتهم ثاروا فى نفس اليوم على زميله " مظفر" فقتلوه ونهبوا القصر(٢٢) وقيل أن موت " مبارك " أضعف من أمر " مظفر " فوثب به أهل بلنسية وأخرجوه منها فانزوى بشاطبة (٢٣). وهناك رواية أخرى تشير إلى أن " مظفر " قد هلك أولاً ثم لم يلبث أن لحق به صاحبه " مبارك " فى ذى الحجة سنة ٤٠٨هـ١٠١٧م أو سنة ٤٠٩هـ (٢٤).

على كل حال فقد اتفق الأهالى على دعوة " لبيب الصقلبى" صاحب طرطوشة ليتسلم مقاليد الحكم فى بلنسية، وتشير المصادر إلى أن " مجاهد العامرى " صاحب دانية شاركه فى حكمها، فكانت الخطبة تصدر باسميهما معاً، ثم إختلفا، ففر " لبيب " إلى طرطوشة فى حين إنفرد " مجاهد " بملك بلنسية (٢٥). وهناك رواية أخرى تشير إلى أن

(٢١) ابن عذارى : نفس المصدر، ص ١٦٢.
(٢٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، جـ ١، ص ٢٠.
(٢٣) ابن سعيد : المغرب، جـ ٢، ص ٢٩٩ .؛ كمال أبو مصطفى : تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية حتى سقوطها فى أيدى المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية ١٩٨١م ـ ص ٧٠.
(٢٤) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ ٣، ص ٣٠٢.
(٢٥) نفس المصدر، ص ٣٠٢.

"لبيب الصقلبى "بعد أن أسند إليه أهل بلنسية حكم بلدهم أحدث فيهم أحداثاً مقتوه بسببها ، فلاذ بـ " ريموند " أمير برشلونه ، وبالغ فى التودد له حتى أصبح كبعض عماله وقد أثار ذلك غضب أهل طرطوشة عليه ، ودفعهتم الغيرة على بلدهم من الخضوع لملك النصرانية ، فوثبوا على " لبيب" وقضوا عليه واستدعوا " منذر التجيبى " لحكمهم .

إنفرد "مجاهد العامرى "بحكم بلنسية،ويبدو أن سيطرته عليها كانت قصيرة الأمد إذ لم يلبث أهل بلنسية أن تغيروا عليه وقرروا إسناد حكم بلادهم إلى واحد من أحفاد " المنصور بن أبى عامر " هو " المنصور الثانى أبو الحسن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن المنصور بن أبى عامر " (٢٦) . وقد تمت مبايعته أميراً عليها سنة ٤١٣هـ١٠٢١، ونعمت بلنسية فى عهده بفترة طويلة نسبياً من السلم والهدوء والرخاء دامت مايقرب من أربعين عاماً حتى توفى فى ذى الحجة سنة ٤٥٢هـ١٠٦٠م على أثر علة أصابته ولم يستطع علاجها(٢٧) . وخلفه فى الإمارة ابنه "عبدالملك" الذى بويع ببلنسية وشاطبة يوم وفاة أبيه واستقر ببلنسية وتلقب بنظام الدولة ثم بالمظفر ، وتولى تدبير شئون دويلته "محمد بن عبدالعزيز " المعروف بـ " ابن رويش " وزير أبيه (٢٨) ، فأحسن توجيه "عبدالملك" وإرشاده فاستقرت أحوال بلنسية على يديه وسادها الهدوء والأمن على الرغم مما كانت تعانيه آن ذاك من قلة المال والجند وفساد الأعمال (٢٩) .

وكانت للمأمون بن ذى النون صاحب طليطلة لدى " ابن رويش "منزلة خاصة ومكانة سامية ، فكان موضع إجلاله وتوقيره ، ثم لأنه كان صهراً لعبد الملك وحماه ، وكان المأمون يهتم بشئون زوج إبنته ويقوم بحمايته والذود عن أراضيه ضد أى إعتداء

---

(٢٦) نفس المصدر ، ص ٣٠١ .
(٢٧) ابن عذارى : نفسه ، ص ٣٠٢ ؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ٣٠٠ .
(٢٨) هو الوزير الكاتب أبو عبدالله محمد بن مروان بن عبدالعزيز المعروف بابن رويش القرطبى ، كان فى بداية أمره كاتبا للوزير الكاتب أبو عامر التاكرنى الذى كان وزيرا للمنصور . أنظر ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٢٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ .

خارجي[٣٠] ، لاسيما من جهة " المعتصم بن صمادح " [٣١] الذى هاجم أحد الحصون التابعة لدويلة بلنسية ونشبت بين المعتصم وابن خاله " المظفر عبدالملك " عدة معارك لم تسفر عن نتائج حاسمة [٣٢].

ولما أدرك " المأمون بن ذى النون " صاحب طليطلة [٣٣] أن بقاء صهره "عبدالملك المظفر" على حكم دويلة بلنسية من شأنه أن يعرضها لخطر الوقوع الوشيك فى أيدى القشتاليين ، بعد هزيمة " عبدالملك المظفر " فى وقعة بطرنه *Paterna* هو وجيشه بالقرب من مدينة بلنسية [٣٤] آثر هو أن يضمها إلى طليطلة فتكون درعاً واقياً لها بدلاً من تركها فريسة للتهديد المتواصل فى يد حاكم ضعيف، فلم يتردد فى التحرك سريعاً لتنفيذ مخططه، فبادر بالخروج بقواته نحو قلعة قونكه، بين بلنسية وطليطلة ، وعسكر هناك ، بينما أرسل فرقة من جنوده إلى بلنسية تحت إمرة قائد من خاصته وكاتبه "ابن مثنى"وأمر قواته بدخول بلنسية والإقامة فيها حماية لصهره " عبدالملك المظفر " وشداً لأزره

---

(٣٠) ابن عذارى : نفسه ، ص ١٦٥ .

(٣١) بنو صمادح يرجعون إلى أصل عربى يلتقى مع بنى تجيب ويعود ظهورهم إلى معن بن صمادح الذى انفرد بحكم ولاية المرية سنة ٤٣٣هـ وظل بها حتى سنة٤٤٦هـ ، ويذكر أن أهالى المرية ولوه على أنفسهم بعد أن إجتمعوا إليه ورغبوه ، وظل فترة يتلقب بذى الوزارتين ، وقد استطاع الحفاظ على إستقلاله بسبب صلحه مع صاحب غرناطة باديس بن حبوس ، وقد دانت له لورقه وبياسه وجيان . أنظر ابن خاقان : قلائد العقيان ، جـ١ ، ص ١٤٦ . ؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ٢ ، ص ١٩٠ . ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٢١٩ . ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٤٠ .؛ السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المرية ، ص ٧٤ .؛ محمد أبو الفضل : تاريخ المرية ، ص ١٢٠ .

(٣٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣٣) المأمون يحيى بن ذى النون كان جده ذى النون بن سلمان حاكما لحصن إقليش ثم ولاه الأمير محمد حكم شنتمريه وولى الحكم المستنصر إبنه إسماعيل على وبذة ، وأثناء الفتنة القرطبية كان إسماعيل قد وسع أملاكه حتى شملت شنتمرية كلها ، فلما إنتهت الفتنة أعلن إستقلاله بما معه من أراضى ، وعلى أثر حدوث اضطرابات فى طليطلة اتجه إليها إسماعيل الظافر ، وتوفى سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م وخلفه يحيى إسماعيل المأمون الذى سار على سنة أبيه فى إعتماده على الوزير أبو بكر الحديدى ، وفى عهده توسعت حدود طليطلة حتى ترامت شرقا إلى بلنسية، ودام حكمه ثلاث وثلاثون عاما مليئة بالحروب مع ابن هود وابن عباد ، وخلفه حفيده الضعيف القادر أنظر الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ٧٦ ، ٧٧ . ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ١ ، ص٢٦٨، ق ٤ ، جـ١ ، ص ١٢٤ . ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٢٧٧ . ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٧٦ – ١٨٠ ؛ ابن خلدون: العبر، جـ٤ ، ص ٢٠٦ .؛ محمد عبدالله عنان:دول الطوائف، ص١٩٤

(٣٤) عن وقعة بطرنه أنظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، تحقيق د. أحمد مختار العبادى ، ص ٧٦ .؛ ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ .

ومحافظة على إقرار الأمن فى المدينة فى الظاهر، وبهدف السيطرة عليها وشل يد صهره عنها فى حقيقة الأمر (٣٥). واستخلف على حكم بلنسية الوزير" أبا بكر أحمد بن عبدالعزيز" (٣٦) مكافأة له على مساعدته فى الإستيلاء على المدينة.

وقد انتهج الوزير "أبو بكر بن عبدالعزيز" سياسة حسنة فى حكم بلنسية واكتسب حب الرعية، ثم واتته الفرصة للإستقلال ببلنسية سنة ٤٦٧هـ١٠٧٥م عقب وفاة المأمون فى تلك السنة، فدانت له المدينة بالطاعة وحكمها دون منازع (٣٧).

اتسمت سياسة " أبو بكر بن عبدالعزيز "طيلة حكمه لبلنسية بالتعقل والإعتدال وتمكنت محبته فى قلوب الرعية، كما اتصف بالدهاء والحنكة السياسية، فاستطاع بهذه السياسة أن يجنب بلنسية شرور الحروب التى كثيراً ماكانت تشتعل بين ملوك الطوائف بين الحين والآخر، كما نجح فى تجنب أطماع جيرانه بسلاح الدهاء والدبلوماسية حيناً والتحالف معهم بالمصاهرة حيناً آخر، أو اللجوء بدفع الجزية لملك قشتاله درءاً لشره وطلباً لحمايته، على الرغم من أن سياسته هذه تجاه الممالك النصرانية الأسبانية لم تكن ترضى أهل بلنسية، غير أنه لم يكن أمامه مفر من ذلك حيث كان الوضع السائد آنذاك بالأندلس فى عصر الطوائف. وتوفى " أبو بكر بن عبد العزيز " فى بلنسية فى ٧ صفر سنة ٤٧٨هـ يونيه ١٠٨٥م بعد أن حكم نحو عشر سنوات، وخلفه ابنه القاضى "أبو عمرو عثمان بن عبد العزيز" الذى بويع له ببلنسية عقب موت أبيه عملاً بوصيته(٣٨).

وفى هذه الأثناء وقع حادث خطير فى مملكة طليطلة وهو سقوطها فى أيدى القشتاليين فى المحرم سنة ٤٧٨هـ١٠٨٥م (٣٩)، وكان لسقوطها دوى هائل فى سائر أنحاء

---

(٣٥) كمال أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص ٨٦، ٨٧.
(٣٦) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٣، ص ٣٠٣، ٣٠٤.
(٣٧)نفس المصدر ،ص٣٠٣ . ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٠٢.
(٣٨) ابن عذاري:نفس المصدر، ص ٣٠٤ .؛ ابن خلدون: العبر، المجلد الرابع، ص٣٤٩.
(٣٩) ابن الأثير: دار الفكر، سنة ١٩٧٨م الكامل، جـ ٨، ص ١٣٨ .؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣٤٨ .؛ ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس، ص ١٤٦.

أسبانيا ، أثار الأسى العميق والحزن البالغ فى نفوس المسلمين ، والفرح الابتهاج فى نفوس النصارى (٤٠) ، وكان نذيراً لما ألم ببلنسية على وجه خاص من نتائج خطيرة روعتها وأدت إلى تغييرات سياسية لم تكن فى الحسبان (٤١) .

فبعد إستسلام " القادر يحيى بن ذى النون " لـ " ألفونسو السادس " (٤٢) ملك قشتالة استولى " ألفونسو السادس " على طليطلة بعد أن إتفق مع " القادر " على أن يمكنه من الإستيلاء على بلنسية التى كانت لجده " المأمون " وتنصيبه ملكاً عليها (٤٣) .

وهكذا رحب " القادر " بالعرض الذى إقترحه عليه " ألفونسو" والذى يخول له السيطرة على بلنسية مقابل تنازله عن طليطلة ، إذ أنه كان قد تبرم بحكم هذه الحاضرة لكراهية أهلها المتأصلة له ومقتهم الشديد لشخصه ، ثم أنه كان يؤثر بلنسية على طليطله

---

(٤٠) ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٢٠ .؛ السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، تاريخ المغرب الإسلامى ، الإسكندرية ، ب. ت. ، جـ ٢ ، ص ٧١٨ .

(٤١) لمزيد من التفاصيل عن سقوط طليطلة أنظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .؛ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٨٠ وما بعدها . ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٧٩ ـ ١٨٢ .؛ إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ، ص ١٩ .؛ يوسف أشباخ : الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين ، ، ص ٥٧ .؛ حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص ٥٣ ، ٥٤ .؛ ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٣٩ وما بعدها

(٤٢) ألفونسو السادس الذى لقب نفسه بلقب لاتينى أى الإمبراطور على جميع أسبانيا ، كما لقب نفسه أيضا بالإمبراطور ذى الملتين (الإسلام والمسيحية) ، وكان من أنشط حكام النصارى فى تزعم ماعرف بحركة الإسترداد التى نشطت فى عهده فاستولى على طليطلة وساعد القمبيطور فى تهديد شرق الأندلس ، واستمر يدافع عن بلنسية بعد وفاة القمبيطور ، وقد أرسل ابنه شانجه لمحاربة المسلمين ولكنه قتل فى موقعة إقليش سنة ٥٠١هـ / ١١٠٨م ، كما أنه هدد قرطبة وإشبيلية وغرناطة ، كما قاد معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ التى هزمه فيها المسلمون ، وقد استنزف أموال المسلمين وفرض عليهم الإتاوات الضخمة فسلب أموالهم واستولى على بلادهم على الرغم من أنه كان يقيم فى طليطلة فى كنف المأمون بن ذى النون قبل أن يصبح ملكا على قشتالة وليون وذلك بسبب محاربة أخيه سانشو الثانى له ، ثم أستدعى إلى قشتاله بعد وفاة أخيه فتولى حكمها سنة ١٠٧٢م وظل بها حتى وفاته سنة ١١٠٩م . أنظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٨٨ و ١١٤ و ١١٥ . ؛ Primera coronica, P.Menendez Pidal : P.520 – 619 ابن عذارى: البيان المغرب،جـ ٤ ، ص ٥٠ ـ ٥٢ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .؛ حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص ٤٤ .؛ يوسف أشباخ : الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٠ .؛ إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ، ص ٢٤ ، ٢٥ .؛ ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس ، عدة صفحات .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، صفحات متفرقة .؛ رجب محمد عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا المسيحية، ص ٣٠٩ .

(٤٣) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٨٤ .؛ ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ، ص٣٨٢

من جميع الوجوه ، كما أن ملك قشتاله كان مرحباً بتمكينه من بلنسية لأنه بتبعيتها للقادر كأنما تصبح تابعة بالفعل لقشتالة وفى وسعها أن تسيطر عليها متى شاءت (٤٤)

سار " القادر " إلى قونكة ، فنزل بها إلى حين يمكنه " ألفونسو السادس " من بالنسية بينما تفرق معظم من خرج من أهلها فى الحواضر الأندلسية ، وكان يحكم بلنسية آنذاك القاضى " أبى عمرو عثمان " ، وكان لايزال بعد فتى حدثاً تعوزه الخبرة والحنكة ويفتقد حكمة أبيه وحزمه وحسن إدارته ، ورأى القادر أن يدرس الموقف فى بلنسية عن كثب ويتعرف على الرأى العام فيها فى ظل حكم القاضى " أبى عمرو عثمان " ، فأرسل لهذا الغرض " ابن الفرج "عامله على قونكة،وما كاد "ابن الفرج" يصل إلى مقصده ويتقصى أحوال بلنسية حتى بدأ يدعو لسيده "القادر" باعتباره صاحب الحق الشرعى فى حكم بلنسية ، ونجح " ابن الفرج " إلى حد كبير فى تغيير الرأى العام فى بلنسية فانقسم على نفسه ، وظهر حزبان سياسيان فى المدينة ،أحدهما مؤيد لدولة بنى هود أصحاب سرقسطه وملكهم المستعين الذى تزوج من ابنة " أبى بكر بن عبدالعزيز "، والآخر يميل إلى بنى ذى النون الذين كانوا يسيطرون على بلنسية فى عهد المأمون (٤٥) ، وتبين لـ " ابن الفرج " أيضاً ضعف وسائل الدفاع عن المدينة فى التصدى لأى هجوم خارجى فعاد إلى قونكة بعد أن مهد الأمور للقادر. ولما بلغت هذه الأخبار " القادر " عن تصدع الجبهة الداخلية فى بلنسية وضعف وسائلها الدفاعية تأهب للسيطرة عليها وبخاصة بعد أن زوده " ألفونسو السادس " ملك قشتالة بفرقة من قواته يقودها " البرهانس " أعظم قواد قشتالة فى زمنها ، وماإن إقتربت قواته من المدينة حتى سير مبعوثاً يحمل رسالة إلى أهل بلنسية يعدهم فيها بكل مافيه خيرهم وخير بلدهم ، وعندئذ عقد رؤساء المدينة مجلساً تباحثوا فيه الموقف ، وآثروا حقن الدماء تجنباً لما تتعرض له مدينتهم من دمار وتخريب فسلموها لـ "

---

(٤٤)Huici Miranda (A) : Historia Musulmana De Valencia Y Su Region Tomo I , Valencia , 1969 , P. 260

(٤٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٩٣ .؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص٣٠٤ .

القادر بن ذى النون " ، وبهذا اتفقوا فيما بينهم على عزل أميرهم " عثمان ابن أبى بكر " بعد أن استمر فى الحكم تسعة أشهر وسلموا المدينة للقادر باعتبار أنه يمثل الجهة الشرعية التى كانت تتولى أمر بلنسية فى أيام " المأمون بن ذى النون " (٤٦) فدخل " القادر " مدينة بلنسية واستقر بقصر الإمارة بعد أن تسلمه من القاضى " ابن لبون " وذلك فى شوال سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٦م (٤٧) . أما " البرهانس "وجنده النصارى فقد نزلوا فى ربض الرصافة بينما نزل أتباع " القادر " وفرسانه فى الساحة التى تقع بين المسجد الجامع وقصر الإمارة (٤٨) .

ب ـ أوضاع بلنسية فى ظل حكم القادر بن ذى النون حتى إنفراد السيد القمبيطور بالسيطرة عليها

أقام " القادر بالله بن ذى النون " على بلنسية بقصر الإمارة محاطاً بالخدم والحشم، فأقبل على حياة الترف واستغرق فى اللهو والملذات استمراراً فيما ألفه من الحياة الناعمة التى كان يحياها فى طليطلة قبل أن يقدم على تسليمها لـ " ألفونسو السادس " ملك قشتالة . وقد اطمأن بحماية " البرهانس "وفرقته له ، تلك الفرقة التى ثقلت وطأتها على الرعية وعاثت فى بلنسية فساداً ، مما ترتب عليه ظهور حالة من التذمر الشديد بين الرعية ، فضاقوا بالمغارم الفادحة والضرائب الباهظة التى أرهقهم بها " القادر " للإنفاق على مرتزقته القشتاليين الذين تحكموا فيهم وساموهم العسف والقهر والذل واعتدوا على

(٤٦) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٤٩ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ . وأنظر أيضا: H . Miranda , Op Cit , T . I . P. 260 .

(٤٧) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٩ .؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص٣٧٥ .

(٤٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٤ .؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٤٩ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٨ .

حرماتهم وأموالهم إلى حد أن أعداداً كبيرة من أعيان بلنسية آثروا الرحيل عنها فراراً من هذا الطغيان (٤٩).

وسرعان ماتفجر الموقف وبدأت بوادر العصيان فى شاطبة التى رفض واليها المثول أمام " القادر " ولم يعترف به أميراً على بلنسية ، كما رفض أيضاً دفع الضرائب له(٥٠) ، مما اضطر " القادر " إلى الخروج بقواته لحصارها واستنزالها لكنه فشل فى تحقيق هدفه (٥١) فضلاً عن أن الكثير من القلاع التابعة لمملكة بلنسية كانت قد أعلنت التمرد والعصيان مما زاد وضع " القادر " حرجاً .

وفى هذه الأثناء كانت الحوادث فى مناطق الأندلس الأخرى تتطور سريعاً لاسيما بعد أن عبر المرابطون إلى الأندلس للذود عن الإسلام الذى انتكست راياته بسبب عوامل الضعف والإنهيار التى حلت بدويلات الطوائف أمام قوة مملكة قشتالة ، واضطرت الفرقة القشتالية المرابطة فى بلنسية بقيادة " البرهانس " إلى الانسحاب من بلنسية والاتجاه إلى ساحة المعركة للانضمام إلى صفوف القشتاليين (٥٢) ، ونجح المرابطون

(٤٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص٣٠٥ .؛ ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٨٦ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص٢١٨ .؛ الطاهر مكى : ملحمة السيد ـ دراسة مقارنة ،دار المعارف ،القاهرة ،سنة١٩٨٣م ، ص ١١٠ ، ١١١ .

(٥٠) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٨ .

(51) H . Miranda : Historia Musulmana De Valencia T . I . P. 265 , 266 .

(٥٢) ابن أبى زرع (أبى الحسن على بن عبدالله الفاسى) : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الفاسية سنة ١٣٠٥هـ ، ص ١٠٠ .

وقوات الأندلس متحدة تحت قيادة " يوسف بن تاشفين " (٥٣) فى الإيقاع بقوات القشتاليين وحلفائهم من دول أسبانيا النصرانية وماوالاها فى وقعة الزلاقة المشهورة ١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ٢٣ أكتوبر١٠٨٦م (٥٤).

وما كادت أنباء انتصار المسلمين فى الزلاقة تصل إلى " القادر " حتى بادر بالكتابة إلى أمير المسلمين " يوسف بن تاشفين " يهنئه بانتصاره، ويلتمس صداقته ومودته ، ويبدو أن " القادر " كان يتطلع إلى عقد صلات مع المرابطين أملاً فى تدعيم نفوذه فى بلنسية وسعياً لتغيير نظرة الرعية إليه كحاكم مستبد وخائن لقضايا الإسلام ضحى ببلده فى

---

(٥٣) يوسف بن تاشفين ٤١٠ ـ ٥٠٠هـ / ١٠١٩ ـ ١١٠٦م هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقون بن وارتقين بن منصور بن مصاله ، كان فى بداية أمره قائداً فى جيش المرابطين لدى أبو بكر عمر اللمتونى ثم مالبث أن وطد أمره ووسع أملاكه واستطاع الاستيلاء =على الحكم بعد أن تنازل له أبو بكر ولقب بأمير المسلمين ، واختط مدينة مراكش ، وشملت ممتلكاته إفريقية والمغرب ثم تطلع للإستيلاء على الأندلس وبخاصة أن جيشه قد بلغ مائة ألف جندى ، واستطاع القضاء على ملوك الطوائف خاصة بعد سقوط طليطلة لإنقاذ الأندلس من الضياع والتغلب على نفوذ النصارى ، وقد كان عبوره إلى الأندلس باستدعاء من فقهائها الذين سئموا ضعف ملوك الطوائف ، خاصة بعد سقوط طليطلة لانقاذ الأندلس من الضياع ، عرف بالشجاعة والإقدام إلا أن قسوته مع ملوك الطوائف كانت كبقعة سوداء فى ثوب أبيض فأساءت إلى سيرته وقد كان له أولاد هم على ومحمد بن عائشة الذى انتسب لأمه . أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٧ ، ص١١٢ .؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٢١ ـ ٢٤ .؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٤٥ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١٢٣ .؛ محمد عبدالله عنان : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، مكتبة الخانجى ،القاهرة، طـ ٢ ، ١٩٧٠م ، ص ٢٢٥ ـ ٢٣٤ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٩٨ ـ ٣١٩ .؛ محمد عبدالله عنان: دولة المرابطين والموحدين ،ص٣٦ .؛ سعدون عباس نصرالله : دولة المرابطين فى المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٣٥ وما بعدها .؛ شوقى أبو خليل: الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ طـ٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٢٨ وما بعدها .

(٥٤) معركة الزلاقة Sacrajas تقع بالقرب من بطليوس ، ألتقى فيها المسلمون بقيادة يوسف بن تاشفين وانضم إليه المعتمد بن عباد وابن الأفطس صاحب بطليوس ضد النصارى بقيادة ألفونسو السادس واستطاعوا هزيمتهم ، كانت لها أثار عظيمة بالنسبة للفريقين أهمها توحيد ملوك الطوائف وارتفاع الروح المعنوية للمجاهدين ، وتعد من أشهر المعارك فى تاريخ المسلمين فى الأندلس التى أسهبت الكتابات فى وصفها . أنظر الأمير عبدالله : التبيان ، ص١٠٤ .؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٤١ .؛ ابن الأبار: الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .؛ عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ١٣٢ .؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٧ ، ص ١١٣ .؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية ، ص٥٦ .؛الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨٣ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ .؛ أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٩٢ .؛ حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٢٧٩ ومابعدها .؛
محمد عبدالله عنان : تراجم إسلامية ، ط سنة ١٩٧٠م ، ص ٢٣٠ .؛ عبدالرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، دار القلم ، دمشق ، طـ ٣، ١٩٨٧م ، ص ٤٠٣ .؛ سعدون عباس : دولة المرابطين فى المغرب والأندلس ، ص ٨٤ .؛ شوقى أبو خليل: الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين،ص ٥٢ ومابعدها؛ سحر سالم: تاريخ بطليوس،جـ ٢ ، ص ١٠٠ .؛ Menendez Pidal : Laespana Del Cide , P. 328 – 339

سبيل الحفاظ على متاع قليل وموقوت . غير أن " ابن تاشفين " كان منصرفاً عن الرد عليه وإجابته بشئون خطيرة شغلته ودعته إلى العودة سريعاً إلى بلاده (٥٥) .

ولاشك أن هذا التصرف من جانب القادر قد أغضب " ألفونسو السادس " ملك قشتالة حيث عهد إلى قائده " غرسيه " بالهجوم على منطقة شرق الأندلس حيث يسيطر صنيعهم السابق " القادر " على بلنسية ، فبادر القائد القشتالى بشن غاراته على المنطقة الواقعة مابين مرسية ولورقة ، وقد تعرض المسلمون لمتاعب جمة بسبب هجمات القشتاليين وماكان ينزل بقوافلهم من الأذى والضرر الشديد ، فكثرت جراحهم وأرسلوا مستغيثين بـ " ابن تاشفين " للعبور مرة ثانية إلى الأندلس ، وبخاصة بعد أن تأزمت الأمور فى شرق الأندلس بظهور " السيد القمبيطور " وعجز ملوك الطوائف عن التصدى لغاراته ووضع حد لهجماته بحيث أصبحت دانية وشاطبة ومرسية مهددة بالوقوع فى يد العدو(٥٦) .

وعلى أية حال نعمت بلنسية بفترة قصيرة من الهدوء والأمن عقب انتصار المسلمين فى الزلاقة ، ولم يلبث الاضطراب أن سادها من جديد ، وفلت الزمام من يد صاحبها القادر بعد أن ظهر عجزه عن السيطرة على دفة الحكم فيها ، واشتدت الأحوال سوءاً بعد أن أصبحت بلنسية نفسها مطمعاً للطامعين من ملوك الطوائف الآخرين وعلى الأخص الحاجب " المنذر بن هود " صاحب لارده (٥٧) وطرطوشة الذى كان يتحين الفرصة للإستيلاء على بلنسية ، لاسيما بعد أن استولى على دانية وشاطبة اللتين تكملان

(٥٥) ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٥ .
(٥٦) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ص٧٣٠ .
(٥٧) لاردة Lerida تقع فى الثغر الأندلسى الأعلى ، وهى مدينة قديمة بنيت على نهر يخرج من أرض جليقية يعرف بشيقر ، وهى شرقى مدينة وشقه ، وكانت قد خربت وأقفرت فجدد بنيانها إسماعيل بن موسى بن لب بن قسير سنة ٢٧٠هـ . أنظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٠٧ .

له إخضاع منطقة شرق الأندلس جميعها لنفوذه وسلطانه (٥٨) ، و" المستعين بن هود " ملك سرقسطة الذى كان يتوق إلى الاستيلاء على هذه المملكة وضمها إلى ملكه .

انتهز " المنذر بن هود " صاحب لاردة وطرطوشة ودانية فرصة خروج الحامية القشتالية من بلنسية لتعزيز قوات قشتالة قبل نشوب معركة الزلاقة ووجدها فرصة مواتية له ليحقق حلمه الكبير فى الإستيلاء على بلنسية وضمها إلى أملاكه خاصة وأنها كانت تقع فى المنتصف فتشق أملاكه إلى شطرين ، فحاصر المدينة سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٨م ووجد من يؤازره داخل المدينة ويرى تسليمها إليه ، وكان " القادر " أضعف من أن يدافع عن المدينة ففكر فى تسليمها لولا أن نصحه " ابن طاهر" صاحب مرسية السابق بمواصلة الصمود (٥٩) ، ففكر "القادر" فى الاستعانة بـ" المستعين باللّه بن هود " صاحب سرقسطة وخصم " المنذر بن هود"،وكان المستعين يطمع هو الآخر فىالاستيلاء على بلنسية فسارع بعقد إتفاق مع " السيد القمبيطور" على أن يساعده فى الإستيلاء عليها مقابل حصول " السيد " على الأسلاب والغنائم (٦٠) . وسار الجيشان معاً جيش سرقسطة وجيش قشتالة متظاهرين بحماية المدينة وهم يبيتون النية للإستيلاء عليها ، وكانت قوات "المستعين" أربعمائة فارس فى حين بلغت قوات " السيد " ثلاثة آلاف (٦١) ، وكانت قوات " المنذر "

---

(58) H . Miranda , Op . Cit , T . I. P. 267 - 269 .

(٥٩) ابن طاهر هو عبدالرحمن بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسى الذى تولى حكم مرسية فى عصر الطوائف ، وينتمى إلى أسرة عربية ، كان شاعرا وأديبا معروفا ، حكم مرسية خمسة عشر عاما فى ظل تبعية لبلنسية ثم استقل بها بعد معركة بطرنة سنة ٤٥٧هـ ثم استولى المعتمد بن عباد على مرسية وطرد منها ابن طاهر فلجأ إلى بلنسية وظل بها حتى دخلها السيد القمبيطور سنة ٤٨٨هـ فخرج منها ثم عاد إليها بعد دخول المرابطين الأندلس وظل بها حتى توفى سنة ٥٠٣هـ . أنظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٢٨ و ٤٤ و ٥١ .؛ ابن خاقان : قلائد العقيان ، جـ١ ، ص ١٧٠ .؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٠١ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ١٧٦ .

(٦٠) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٩٨ .؛ ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٨٦ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٣٠ . .؛السيد القنبيطور اسمه الأصلي ردريجو دي بيفار Rodrigo Daizde Vivar وتسميه المصادر العربية الكمبيادور أو القنبيطور أي قائد الغارات أو صاحب الفحص حسبما ورد عند ابن عذاري ، ويرى حسين مؤنس في بحثه السيد القمبيطور أنه الفارس أو صاحب الغارات وأيده في ذلك د/ رجب عبد الحليم ، أما كلمة السيد فهي كلمة عربية ثم انتقلت الى اللغة الإسبانية. انظر حسين مؤنس :السيد القمبيطور ،ص٤٤ .؛ رجب عبد الحليم :علاقة الأندلس وإسبانيا النصرانية ،ص٣٢٥.

(٦١) محمد عبدالله عنان : مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام ، القاهرة سنة١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩م ، ص١٢٢

مازالت تحاصر بلنسية ، فلما علم بمقدم جيش المستعين والسيد آثر الانسحاب [٦٢] ، بل عقد حلفاً مع " القادر " . ويبدو أن القادر قد أحس بنوايا "المستعين" و " القمبيطور" ورغبتهما فى الإستيلاء على بلنسية فأرسل إلى" القمبيطور " سراً بعض الأموال والهدايا والتحف النادرة دون علم المستعين لإثنائه عن الهجوم ، ويبدو أن " القمبيطور " قد وجدها فرصة للدفاع عن بلنسية إرضاءاً لـ " ألفونسو السادس " الذى كانت المدينة تحت حمايته قبل ذلك سعياً لصلحه [٦٣] .

وبدأ " السيد " يتلكأ فى مهاجمة بلنسية متعللاً أمام " المستعين " بأنها من أملاك سيده " ألفونسو " وأنه إذا تعرض لها سيغضبه ، ولابد أن يأذن منه قبل أية محاولة لدخولها. كما أنه عقد إتفاقاً بالصداقة سراً مع " المنذر بن هود"صاحب لاردة وعدو "المستعين بن هود" صاحب سرقسطة وربما يكون هذا الإتفاق قد تضمن وعداً منه بمساعدة " المنذر" فى الإستيلاء على بلنسية [٦٤] ، وقد قال عنه بعض المؤرخين أن "السيد القمبيطور" قد كشف القناع عن حقيقته فبدا مغامراً لاذمام له يبيع العهد والصديق معاً[٦٥] ، وذلك لأنه تلقى الهدايا من القادر فى الخفاء فماطل فى غزو بلنسية ،وعقد اتفاقاً مع كل من " المستعين " صاحب سرقسطة و "المنذر"صاحب لاردة كل على حده ووعدهم بالإستيلاء على بلنسية فى الفرصة المناسبة [٦٦]، وفى نفس الوقت حرص على التفاهم مع"ألفونسو " فسافر إلى قشتالة وقوبل هناك مقابلة حسنة ، ومنحه "ألفونسو" بعض الهدايا والحصون . ويعود سبب تغير " ألفونسو " مع " السيد " إلى هزيمة النصارى الشنعاء فى معركة الزلاقة ، وكان يأمل أن يرد " السيد " هذه الضربة للمسلمين [٦٧] ، وأن

---

(٦٢) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٩٨ .
(٦٣) ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٦٤) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٣٦ .
(٦٥) محمد عبدالله عنان : مواقف حاسمة فى الإسلام ، ص ١٢٢ .
(٦٦) نفس المرجع السابق و نفس الصفحة .
(٦٧) ليفى بروفنسال : تاريخ الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

تنشط على يديه حركة الاسترداد الأسباني التى تحول إتجاهها من غرب الأندلس إلى شرقه (٦٨).

وبالفعل عقد "ألفونسو" إتفاقاً مع " السيد " فى طليطلة سنة ٤٨٠هـ ١٠٨٧م على أن يعطيه مايلزمه من الجنود، وأقره على ولاية كل مايفتحه من أراضى المسلمين لتكون ملكاً له وميراثاً لأولاده من بعده ، ومكث " السيد " حوالى سنة فى بلاط "ألفونسو" متمتعاً بكل الكرم والترحاب عاد بعدها إلى الأندلس لمواصلة دوره (٦٩).

أما " المستعين بن هود " فقد شعر بتخلى " السيد القمبيطور" عن مساعدته فبادر بعقد حلف مع " رامون بيرنجير الثانى *Ramon Berenguer* " كونت برشلونه ، ونجح فى عقد تحالف معه يقضى بأن يعينه بقواته على غزو بلنسية ، وبالفعل إنضم بقواته إلى "المستعين" وزحفا إليها وتمكنا أثناء تقدمهما من الإستيلاء على ليرية *Liria* وجبالة *Cebolle* ، ثم وصلت طلائعهما إلى بلنسية فحاصراها ، لكن ماكادت الأنباء تبلغ الكونت " برنجير " بإقتراب " السيد " من بلنسية حتى أصابه الخوف من مواجهته ، وأدرك عجزه عن التصدى لقواته ، فآثر السلامة لنفسه وقواته وبادر بالإنسحاب من مواقعه وقفل عائداً إلى بلاده ، وبذلك فشلت محاولة " المستعين " الثانية للإستيلاء على بلنسية (٧٠).

وكان " السيد "، بعد أن صالح سيده ألفونسو ، قد قرر الإستيلاء على بلنسية فخرج إليها بقواته، وفى طريقه إليها مر بمربيطر(٧١) وأرغم حاكمها "ابن لبون "على دفع الجزية، ثم وصل إلى بلنسية فاستقبله صاحبها " القادر " بالحفاوة والتكريم وأغدق عليه الهدايا ، واتفق معه على حمايته من أعدائه المسلمين منهم والنصارى مقابل جزية قدرها

(٦٨) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٣ .
(٦٩) ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٨٧ .
(٧٠) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٢٧ .
(٧١) حصن مربيطر Murviedro من أعمال بلنسية يقع على جبل و البحر أمامه وينظر منه شرقا وغربا ، وهو قريب من طرطوشة ، وصاحبه ابو عيسى بن لبون ثم ورثه أخوه أبو الأصبغ سعد الدين ثم سارت للمعتمد بن عباد ثم استولى عليه المرابطون بعد ذلك ، به جامع ومساجد وتجود به الزراعة. أنظر ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢، ص ١٦٧ .؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥ .؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٠ .

ألف دينار يدفعها له القادر أسبوعياً [٧٢] . وفى نفس الوقت أرسل "السيد" إلى رؤساء القلاع والحصون التابعة لبلنسية يأمرهم بالعودة إلى الإلتزام بتقديم الخراج إلى " القادر " كما كانوا يفعلون من قبل ، فاستجاب الجميع لهذا الأمر خوفاً من سطوته واتقاءاً لبأسه [٧٣] .وخضع له أمراء السهلة وألبونت و مربيطر ودفعوا له الجزية ، وأصبح " السيد" صاحب النفوذ الحقيقى فى تلك المنطقة ، فاستناب عنه ببلنسية " ابن الفرج" [٧٤] الذى كان وزيراً للقادر [٧٥] ، وقد عبر ابن عذارى عن استبداد " السيد" بشئون بلنسية دون "القادر"بقوله:"وكان الطاغية لذريق النصرانى الملقب بالكمبيطور قد أخذ بمخنق بلنسية،وألقى زبره عليها، يجبى رعيتها ويستغلها حاضرة وبادية،وقد استضعف حفيد ابن ذى النون ملكها المشئوم وكان اجتلبه ليحترم به، وبقى حتى أراد الله بما أراد من حتفه"[٧٦]

ولم تدم العلاقات طيبة بين " السيد القمبيطور" و" ألفونسو السادس " إذ سرعان ماإنقلب عليه وغضب منه لعدم مشاركته له فى حصار حصن لييط [٧٧] ضد المرابطين سنة ٤٨١ هـ١٠٨٨م ، والتى إنهزم فيها النصارى أمام جيوش المسلمين دون قتال ، وكان " ألفونسو" قد دعا " السيد " للمشاركة فى هذه المعركة ولكنه تثاقل فى تلبية النداء فاعتبره "

---

(72) H . Miranda , Op . Cit , T . II , P. 11 .

(٧٣) محمد عبدالله عنا ن : دول الطوائف ، ص ٢٢٨ .

(٧٤) ابن الفرج من بيت رئاسة ، تصرف آباؤه وقومه مع بنى ذى النون ملوك طليطلة ثم أصبح وزيراً للقادر بن ذى النون ورافقه إلى بلنسية فأصبح وزيراً هناك ونائبا عن القمبيطور حتى بعد مقتل القادر ، وكان يعتصر أموال المسلمين لحساب النصارى ، ولانعرف هل ابن الفرج ينتمى لبنى الفرج حكام قلعة قونكة الذين أقام لديهم القادر قبل ذلك أم لا ؟ . أنظر ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ١٠٣ .؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص٣٠٣ .

(75) M . Pidal : La Espana del cid , Cuarta edicion , T . It . PP. 14 - 15 .

(٧٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣١ .

(٧٧) حصن لييط Aledo حصن بناه ألفونسو السادس قرب مرسية للإغارة منه على شرق الأندلس ووضع به حامية عدد كبير من الجنود ، خشى المعتمد بن عباد من هذا الحصن فعبر إلى يوسف بن تاشفين الذى وعده بالقدوم إلى الأندلس وعبر بالفعل ومعه ملوك الطوائف وحاصروا هذا الحصن ولكن ابن تاشفين إنسحب دون فتحه خشية الهزيمة ، وقام ألفونسو بإخلائه سنة ٤٨٢هـ . أنظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٤٩ .؛ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٣٩ .؛ عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٤٢٢ .؛ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مطابع المستقبل ، سنة١٩٨٠م ، ص ٣٧٣ .

ألفونسو " خائناً ، وهكذا عاد " السيد " يعمل لحسابه الخاص ويعيث فساداً فى شرق الأندلس .

أما فى سرقسطة فقد شعر " المستعين بالله بن هود " بالقلق الشديد لمجئ المرابطين إلى مرسية ، ولجأ إلى " السيد " طالباً حمايته مرة أخرى ، وعقد معه صلحاً وعهداً جديداً (٧٨) ، وفى سنة ٤٨٥ هـ١٠٩٢م انتقل " القمبيطور " إلى سرقسطة، وعسكر على مقربة منها على ضفاف النهر (٧٩) ، وكان " السيد " قد بلغ حداً كبيراً من القوة والثراء العريض حتى أنه عقد معاهدات مع ملك أراغون وملك نافار ، وكان يهدف من وراء هذه الأحلاف إلى الاستعداد لمواجهة المرابطين والتصدى لهم ليبقى شرق الأندلس تحت نفوذه (٨٠) .

وأثناء تواجد " القمبيطور " فى سرقسطة كان " ألفونسو " قد عزم على مهاجمة بلنسية ، وضربه ضربة قوية فى أكثر معاقله قوة وسيادة ، وقد اتفق مع سفن من كل من "جنوة " و" بيزة " لمقابلته من جهة البحر حتى يستطيع إحكام الحصار على بلنسية ، وقد ذكر ابن الكردبوس :" ثم أن ألفونس خف روعه وانتعشت نفسه فحشد وجمع واستعد وخرج قاصداً لمنازلة بلنسية ومحاصرتها بعد أن كتب إلى جنوة وبيشة أن يأتوه فى البحر فوصلوا إليه فى نحو أربعمائة قلاع فاستحكم طمعه فيها وفى جميع سواحل الجزيرة فارتاع له كل من فى الساحل " (٨١) .

وسار "ألفونسو" إلى بلنسية حيث عسكر عند كابولا أحد ضواحيها ، وطلب الجزية من القواعد المجاورة التى كانوا يؤدونها لـ " القمبيطور " ، كما أمر " القادر" بأن يمنع كل الإيرادات التى كان يأخذها منه " السيد " ، وظل ينتظر أساطيل جنوة وبيزة (٨٢) .

---

(٧٨) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٧٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣١ .
(٨٠) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ن ص ٢٣٩ .
(٨١) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٩٩ .
Lanepool : The Moors in Spain , p. 2-6 .
(٨٢) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف ، ص ٢٤٠ .؛ ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ن ص ١٨٩ .

وفى هذه الأثناء كان " السيد" قد علم بما فعله " ألفونسو " فاستشاط غضباً وأرسل إلى " ألفونسو" يتوعده ويحذره ، ثم عزم على مهاجمة قشتالة ، وبالفعل حشد جيوشه واتجه صوب الأراضى النصرانية فهاجم قلهرة ولوجرنيو (٨٣) ، وكانتا من أملاك كونت غرسية " أوردنيث " عدو اللدود فعاث " السيد " فيهما فساداً وأمعن فى القتل والتخريب (٨٤) فاضطر "ألفونسو" إلى مغادرة بلنسية ورفع الحصار عنها ليلحق بمملكته وبخاصة بعد أن قلت المؤن لجيشه وتأخرت عليه سفن حلفائه ، وقال ابن الكردبوس عن ذلك :" ثم أن الله تعالى خالف بين كلمتهم وأذن بتفرقتهم ، فأصبح هو راحل ولم يحصل على طائل " (٨٥) .

وعلى كل حال فقد خشى " ألفونسو " جراءة " السيد " وشدته ، فأراد أن يأمن شره مستخدماً سياسة اللين معه ، وأصدر عنه عفواً ورفع الحظر عن أملاكه وسمح له بدخول قشتالة وقتما شاء (٨٦) ، فأرسل إليه " السيد " شاكراً سنة ٤٨٥ هـ١٠٩٢م .

القاضى جعفر بن حجاف ودوره السياسى فى بلنسية شرق الأندلس

بعد أن جلت قوات " ألفونسو" عن بلنسية تنفس أهلها الصعداء بعد أن نجوا من كثرة الضرائب التى كان يأخذها النصارى منهم والتى زادت بوجود قوات "ألفونسو"التى إعتصرتهم عصراً، كما أنهم كانوا قد ضاقوا ذرعاً بالقادر حاكم المدينة الذى كان متواطئاً مع النصارى .

---

(٨٣) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٠٠ . قلهره Calahorra بفتح أوله وثانيه وضم الهاء وتشديد الراء وهى مدينة من أعمال تطيلة في شرق الأندلس وتبعد عنها ٤٢ كيلو متر ، وهى الشمال الغربى من سرقسطة أنظر الحموى : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٣٩٣ .؛ محمد الفاسى : الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البينه ، السنة الأولى ، عدد ٣ ، سنة ١٩٦٢ ، الرباط . لوجرينو Logrono من الحصون التابعة لسرقسطة في ق ٥٠ هـ ، ثم أصبحت بعد ذلك تابع لقشتاله بعد سقوط سرقسطة وتوابعها سنة ٥١٢هـ . أنظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣، ص ١٧٧ وصفحات أخرى .؛ ابن الخطيب : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٠ .؛ رجب عبد الحليم : الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٣٣٧ .

(٨٤) ليفى بروفنسال : تاريخ الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٨٩ .

(٨٥) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٩٩ .

(٨٦) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص٢٠٤ .

وإزاء هذا الوضع المتدهور الذى لم يكن يبشر بخير فى أمل الخلاص القريب لبلنسية رأى مسلمو المدينة الذين كانوا يمثلون قلبها النابض المتحرك لتخليص بلدهم من نير النصارى ووضع نهاية لهذا الحال ، أن يقوموا بالإتصال بقاضى المدينة " جعفر بن جحاف" بعد أن استشعروا فيه روح الزعامة ، ولما كان يتمتع به من واسع الجاه والنفوذ فضلاً عن أنه سليل بيت من البيوتات العربية العريقة فى بلنسية .

وهو القاضى "جعفر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن جحاف بن يمن بن سعيد المعافرى "، ولقب بأبى أحمد وأبى المطرف (٨٧) ، ومعه صاحب الأحكام " ابن واجب " (٨٨) ونخبة من أهل الحل والعقد فى بلنسية .

وكان " جعفر بن عبدالله بن جحاف " ينتمى إلى بيت عريق فى القضاء جده الأكبر "جحاف بن يمن " عينه الخليفة " عبدالرحمن الناصر " قاضياً على بلنسية وظل عليها حتى توفى فى معركة الخندق عند مدينة سلمنقه شنت منكش سنة ٣٢٧هـ٩٣٩م (٨٩) . وقد تولى "ابن جحاف" عدة مناصب أولها منصب أحكام المدينة ، ثم تولى خطة القضاء ببلنسية (٩٠) ، ثم ترك القضاء لابن عمه " عبدالله بن عبدالرحمن "

---

(٨٧) الضبى : بغية الملتمس ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ .؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤١٩ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٠٣ .؛ وينتمى ابن جحاف إلى أصل عربى يتصل بقبيلة معافر اليمنية وقد وردت أسماء عديدة فى المصادر لأقرباء له تولوا القضاء فى عصور سابقة ولاحقة له ، كما أورد ابن الأبار فى التكملة اسم إثنين من أحفاده تولوا هذا المنصب . أنظر : جـ ٢ ، ص٥٥٥، ٤٧٤ .

(٨٨) محمد بن واجب بن عمر بن واجب القيسى وكنيته أبو الحسن روى عن أبى العباس العذرى وابن الليث السمرقندى وأبى الوليد الباجى وغيرهم ، كان له دور سياسى بارز فى أحداث بلنسية وكان من الموالين المتحمسين لهم وسيبرز واضحا دوره السياسى من خلال الأحداث السياسية فى هذا الفصل ، وقد كان محبوبا فى بلده إختاره العامة لرئاسة الجماعة ، كما حنقوا على ابن جحاف حينما تخلص منه وسلمه للقمبيطور ، من بيت فضل ونباهه ، كان مولده سنة ٤٤٦هـ ووفاته سنة ٥١٩هـ . أنظر ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٥٤٤ .

(٨٩) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٩١ . أو معركة الخندق ومعركة شمنقة حدثت فى عهد عبدالرحمن الناصر ضد النصارى وكان على رأس جيش الأندلس الإسلامى نجده الصقلبى ، وقد إنهزم المسلمون فى هذه المعركة بسبب تغيير نفوس الفرسان العرب لتولى صقلبى قيادتهم . أنظر أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى أسبانيا ،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،ج١،سنة١٩٥٣م، ص ١٢.؛ فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٩٩ . مدينة شمنقة أو شنت مانكش مدينة تقع على نهر دويره إلى الشرق من مدينة سموره فى إمارة قشتاله المسيحية . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص .٢٨٩.؛ أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١٠ .؛ كمال أبو مصطفى : تاريخ مدينة بلنسيه ، ص ٧٧ .

(٩٠) محمد أبو الفضل : قضاة ثوار فى الأندلس ، ص ٢٦٩ .

سنة ٤٨٥هـ١٠٩٢م، وكان عبدالله صاحب خطة الرد والمظالم قبل ذلك [٩١] ، وقد فعل ذلك "جعفر بن جحاف " حتى يتفرغ للأمور السياسية .

وكان القاضى "جعفر بن جحاف"بحكم منصبه مطلعاً على مايجرى فى المدينة ومتفهماً لمشاعر أهلها ومشاركاً لهم فى النقمة على الأوضاع المتردية حتى ضاقت نفسه بهذه التصرفات الجائرة من قوات " السيد " المنتشرة ، هذه التصرفات المنافية لشريعة الإسلام ، واستاء إضافة بلنسية لعدو الله " القمبيطور "وهو يسوم أهلها الخسف ، وسئم الذل ، وضاق صدره بحفيد " ابن ذى النون "[٩٢] ، فلم يتردد فى إجابة أهل بلنسية مشاركتهم فى تغيير هذه الأوضاع وانضم إلى لواء ركب المعارضة ضد سيطرة النصارى لاسيما وأنه كان مطلعاً على مايجرى حوله فى الأندلس ، وعلى علم بتقدم المرابطين فى شرق الأندلس ونجاحهم فى ضم مدينتى مرسية وبانية ، وتطلعهم إلى ضم بلنسية لحوزتهم فاستفاد من كل ذلك وعرض الأمر على أهل الحل والعقد فى المدينة وفى مقدمتهم " أبو الحسن بن واجب "مشيراً عليهم باستدعاء المرابطين لمعاونتهم على الخلاص فى مقابل حفظ المدينه للمرابطين فوافقوه على ماذهب إليه .

وبالفعل نهض " جعفر بن جحاف " إلى دانية حيث تواجدت قوات المرابطين هناك بقيادة " محمد بن عائشة " [٩٣] ، فطلب منه النجدة ، ولكن " ابن عائشة " لم يستطع ترك دانية فأنفذ مع " ابن جحاف " قوة بقيادة " أبو ناصر المرابطى "

(٩١) محمد عبدالوهاب خلاف : تاريخ القضاء فى الأندلس ، ص٥٢٤ ، ٥٥٤ .
(٩٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٠٣ .
(٩٣) محمد بن عائشة هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن تاشفين من كبار قواد جيش المرابطين ، عينه والده قائداً على شرق الأندلس فولى مرسية ، وفى عهد أخيه على قام بعدة معارك ناجحة أهمها معركة إقليش سنة ٥٠١هـ / ١١٠٨م كما قام بنجدة محمد بن الحاج فى سرقسطة وكذلك =شارك فى غزو برشلونة سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م ، أصيب بالعمى فاستدعاه أخوه على وعين أخاه بدلاً منه أنظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٠١ ، ١٠٢.؛ ابن القطان المراكشى : نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان ، ت. محمود مكى، دار الغرب الإسلامى،ط سنة ١٩٩٠م ، ص ٨ .؛ حمدى عبدالمنعم : المغرب والأندلس فى عصر المرابطين ،الإسكندرية ،سنة١٩٨٦م ، ص ١٥٩ .

سنة ٤٨٥هـ-١٠٩٢م[٩٤] . وقد أشارت بعض كتابات المؤرخين إلى أن القاضى " جعفر بن جحاف" كان قد فاوض " محمد بن عائشة "على إنقاذ بلنسية من " القادر بن ذى النون " ومن النصارى مقابل تسليم المدينة إليه [٩٥] .

وعندما علم " القادر بن ذى النون " بما ينوى به الجماعة برئاسة القاضى " جعفر ابن جحاف " قام بتهريب بعض أولاده ، وفعل أصحابه كذلك ، وتهريب الذخائر والأموال إلى القلاع المحيطة ببلنسية ، كما هرب كل رجال " السيد " ببلنسية ، وسجن الوزير " ابن الفرج " الذى كان " السيد " قد تركه نائباً عنه لجباية الأموال ، وقيل أنه قد علم بالثورة ولكنه انتظر حضور " السيد " [٩٦] ، ويصف ابن عذارى ذلك بقوله :" واتصل النظر بمن ببلنسية فنظر أحباء سلطانهم ابن ذى النون فى إنفاذ عيالهم وذخائرهم وأموالهم إلى المعاقل والقلاع، وأخذ حفيد ابن ذى النون بعض عياله إلى ابن ياسين قائده على حصن شبرب، وإلى ابن حديدة بحصن القلاع ، وفر على وجهه من فيها من رجال لذريق" [٩٧] .

أما " ابن جحاف " ومن معه فقد استقبلوا المرابطين بحفاوة بالغة ، وأحس أهالى بلنسية بقرب الخلاص على أيديهم وهموا بالثورة ضد النصارى فعم الهرج والمرج ، ورأس القاضى "جعفر" الثورة وانطلق باحثاً عن "القادر" الذى إختبأ فى أحد حمامات القصر فقبض عليه وصادر أمواله وأمر بقتله فتولى ذلك فتى من بنى الحديدى فقتله بيده كفعله مع " أبى بكر الحديدى "وحمل رأسه وطاف بها الأسواق [٩٨] ، وذكر ابن الكردبوس أن "ابن جحاف "و" أبو ناصر المرابطى" قد قتلاه سوياً [٩٩] .

---

(٩٤) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٠٣ .؛ محمد عبدالله عنان : مواقف حاسمة فى الإسلام ، ص ١٢٢ .
(٩٥) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٤١ .
(96) Menendez,pidal : La Espana,del Cid , Madrid 1947 , P. 299 .
(٩٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣١ .
(٩٨) نفس المصدر،ص ٣٢ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ص٢٠٣ .
(٩٩) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٠٣ .

أما ابن بسام فقال :" فهجم بهم ساحة ابن ذى النون الذى جاء على حين غفلته وانقضاض من جملته واستشراء من علته حيث لم يكن له ناصر إلا الشكوى ولاهاد إلا صدر العصا فقتله بيد رجل من بنى الحديدى طلباً بذحل عما كان هو قد قتل من سلفه"(١٠٠) .

وبعد مقتل " القادر " أختير " جعفر بن جحاف " رئيساً للجماعة فى رمضان ٤٨٥هأكتوبر ١٠٩٢م فتولى زمام الأمور وحشد الأجناد استعداداً لمهاجمة "القمبيطور" وللدفاع عن بلنسية ضد أى عدوان خارجى ،كما رتب الأرزاق (١٠١) .

وقد أشار ابن عذارى إلى أن القاضى " ابن جحاف " قد استشعر السيادة وأظهر أبهة الملك ، فكان يجلس مكتنفاً بالفقهاء والوزراء والزعماء ، ويركب فيتقدمه العبيد ويتأخر عنه الجند ، وتستقبله المصانعة بالدعاء والثناء (١٠٢) . وقد أراد بذلك التشبه بالقاضى " أبى القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " ولكن الفروق بينهما كانت كبيرة .

وعندما وصلت أحداث بلنسية إلى "القمبيطور" الذى كان فى سرقسطة استشاط غضباً لما كان يحصل منها من أموال ولاعتبارها عنده ملكاً خاصاً (١٠٣) . ورحل " القمبيطور " إلى بلنسية وحاصرها عشرين شهراً عانى فيها أهلها من الجوع وخلال هذه المدة أحرق الحصون والقلاع واقتحم ربض الكدية وأقام بها عسكره (١٠٤) ، وأرسل إلى القاضى " ابن جحاف " رسالة يهنئه فيها على تولى الحكم ويسخر منه بقتل سلطانه وهو فى صوم رمضان ويطلب أطعمته المختزنة عنده فى بلنسية (١٠٥) ، ورد " ابن جحاف " بأن بلنسية ملك لـ " ابن تاشفين " ، كما أخبره " ابن جحاف " بأن أطعمته قد انتهبت

---

(١٠٠) الذخيرة، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٩٦ وأنظر أيضاً محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٧٣.؛محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٤١ .؛ ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٢٣٤ .

(١٠١) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٠٣ .؛ محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٧٣ .

(١٠٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(١٠٣) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص١٠٣ .؛ Menendez,pidal Op Cit , P. 3 .

(104) Huici Miranda : Histoirea Musulmana De Valencia T . II . P.57

(١٠٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ١٧٢ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٠٣ .

ويبدو أن المرابطين اكتفوا بوجود حامية لهم داخل المدينة كرمز لتملكها وتبعيتها ومساندة لـ " ابن جحاف " فى التصدى للهجوم المتوقع من " القمبيطور " . فاغتاظ "القمبيطور" من هذا الرد وأرسل مهدداً بأنه لن يبرح بلنسية حتى يظفر به ويأخذ ثأر "ابن ذى النون"(١٠٦) واستطاع " القمبيطور " أن يحصل على أقوات جنده من الحصون المجاورة التى خشت بأسه واتخذ من بعضها دريباً لضرب بلنسية .

أما " ابن جحاف " فكانت لديه فرقة من ثلاثمائة فارس بالإضافة إلى فرقة المرابطين (١٠٧) . وبدأت المناوشات بين الفريقين ، واستبسل " ابن جحاف " فى الدفاع عن المدينة وكثر عدد القتلى والجرحى ، وسئم " القمبيطور " من طول الحصار فأرسل إلى القاضى " ابن جحاف " سراً يدعوه إلى إخراج المرابطين والانفراد بحكم المدينة كما كانت أيام " القادر " ، وأن يمده بالعون والحماية مقابل الجزية ، فمال " ابن جحاف " إلى هذا الرأى خلاصاً من ضربات " القمبيطور " وأملاً فى تحقيق الهدوء لأهالى المدينة الذين انقسموا إلى ثلاثة أحزاب أحدها يناوئ " القمبيطور " ويميل إلى المرابطين ، والثانى يقترب من " القمبيطور " والثالث يرى انفراد " ابن جحاف " بحكم المدينة ، وقد قال ابن عذارى :" وأمل القمبيطور إزعاج المرابطين من بلنسية وكان ابن جحاف قد استثقلهم . أى المرابطين . لكنه يستعملهم ، استشعروا ذلك منه ، وداخل القمبيطور ابن جحاف فى إخراجهم واستبداده بالملك لنفسه ليقيمه معه مقام ابن ذى النون يحمى حوزته ويقاتل عنه فطمع فى ذلك " (١٠٨) .

أما عن أسباب ميل " ابن جحاف " إلى عرض " القمبيطور " فقد ترجع إلى رغبته فى تهدئة الصراعات الحزبية فى المدينة ، وجنوحاً للسلم وحتى يستعد بجيشه لمواجهة النصارى وبخاصة أن ابن بسام قد أشار إلى إنشغاله بجمع أموال القادر لكن القدر لم

(١٠٦) نفس المصدر ، ص ٣٢ .
(١٠٧) نفس المصدر ، ص ٣٢ ؛ محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٧٥ .
(١٠٨) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .

يمهله للاستعداد العسكرى " وشغل بما كان احتجب من بقية ذخائر " ابن ذى النون " وشيعته عن إستجلاب الرجال والنظر فى شئ من الأعمال " (١٠٩) ، وربما يكون قد اتفق مع المرابطين على هذا فوافقوا لإنشغالهم بأمور أخرى وبخاصة أن الحصار قد طال ، وقد عجز " ابن جحاف عن تسديد رواتبهم ، كما كانت قواتهم قليلة بالنسبة لقوات "القمبيطور" (١١٠) ، ولهذا فإن الظروف قد أجبرت " ابن جحاف " على قبول هذا العرض

أما ماصورته المصادر من أن القاضى " ابن جحاف " كان يطمع فى السلطة ويهدف إلى الوصول إليها بأى شكل حتى ولو كان بأيدى النصارى ، أى أنه لايختلف فى قليل أو كثير عن " القادر بن ذى النون " ، وكأنهم بذلك يتهمونه بأن قيادته للثورة ضد استبداد الحاكم والتبعية للنصارى كانت مجرد استغلال للظروف للوصول إلى الحكم فإن فى ذلك ظلم لـ " ابن جحاف " وبخاصة وأنه قد استشار أهل بلنسية على عرض "القمبيطور" فأحس بميلهم لقبوله (١١١) ، وذكرت المصادر الأسبانية شروط الصلح الذى كان يقضى بمغادرة المرابطين لبلنسية بأمان وأن يعوض " ابن جحاف " القمبيطور عن ثمن مؤنه التى كانت بمخازن بلنسية ، وأن يؤدى أهل بلنسية الجزية بمقدارها الذى كان يدفعه " القادر " وهو ألف دينار أسبوعياً ، وأن تبقى ضاحية الكدية فى يد " القمبيطور " وأن يرتد الجيش القشتالى إلى جبالة ليقيم فيها مع " السيد " (١١٢) . ونفذت بنود الصلح شيئاً فشيئاً ، وبدأ القاضى " ابن جحاف " يثقل كاهل أهل بلنسية بفرض الضرائب على القلاع القرى التابعة ، ووصلت الضرائب إلى عشر الموارد المالية ، إضافة إلى أنه أعاد تنظيم الخراج مع معاونيه وكان وقت الحصاد قد حان فتمكن من الحصول على المال (١١٣)

---

(١٠٩) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٩٧ .؛ محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص٢٧٨.

(١١٠) محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٧٦ .

(١١١) نفس المرجع ، ص ٢٧٨ .؛ ويذكر حسين مؤنس أن أهالى بلنسية قد اختلفوا مع ابن جحاف فى هذا الأمر فأدخل عدداً منهم السجن مثل عبدالرحمن بن طاهر صاحب مرسية ، أنظر حسين مؤنس : السيد القمبيطور وعلاقته بالمسلمين ، ص ٥٩ .

(112)Primara cronica general , Apud Menendez Pidal : La Espana del cid , p. 449

(١١٣) محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٧٨ .

أما " القمبيطور " فكان يخطط للاستيلاء على بلنسية ، ولم يكن إتفاقه مع " ابن جحاف " سوى خدعه تمكنه من دخولها والتخلص من المرابطين والتعويض عن الخسائر المادية ، فلم يلبث أن نقض عهده وإرتبطت جيوشه عند جبالة وقام بمحاصرة المدينة ، وبدأ يهاجم ضواحيها وعاث فيها فساداً ويرهق " ابن جحاف " بمطالبه المادية لتعجيزه عن الوفاء بالتزاماته ، وانتهز فرصة الاضطراب الذى عم بسبب بنى طاهر حكام مرسية السابقين الذين كانوا على اتصال به . كما إتهمهم ابن جحاف . والذين كانوا يرفضون الإتفاق الذى تم (١١٤) .

وقد ساءت حالة أهالى بلنسية فى ظل هذه الظروف وضاقوا بضغط "القمبيطور" عليهم واستنزاف أموالهم " واستصرخوا أمير المسلمين يوسف وبسطوا عنده القول فيما نزل بهم ، فجد فى أمرهم و أمر قواده وعماله على بلاد الأندلس بنصرهم"(١١٥) وفى نفس الوقت انضم أنصار " القادر " إلى "القمبيطور" وفى ذلك قال ابن الكردبوس :" وفى هذه المدة إنقطع إلى القمبيطور وغيره من أشرار المسلمين وأراذلهم وفجارهم وفسادهم وممن يعمل بأعمالهم خلق كثير تسموا بالدوائر ، وكانوا يشنون على المسلمين الغارات ويكشفون الحرمات ، يقتلون الرجال ، ويسلبون النساء والأطفال ، وكثير منهم ارتد عن الإسلام ،ونبذ شريعة النبى(ﷺ) إلى أن انتهى بيعهم للمسلم الأسير بخبزة وقدح خمر ورطل حوت ومن لم يعد نفسه قطع لسانه وفقئت أجفانه وسلطت عليه الكلاب الضارية فأخذته أخذة رابية" (١١٦) .وعانى أهالى بلنسية الأمرين ، ولكن المرابطين استجابوا لهم بسرعة وأرسلوا جيشاً بقيادة " أبى بكر اللمتونى"، وعسكرت الجيوش بشاطبة وكان"القمبيطور"على علم بهدف هذه الحملة فأفصح عن أطماعه فى فرض سيطرته على المدينة ، وأرسل إلى " ابن

(١١٤) ابن خاقان : قلائد العقيان ، جـ ١،٢ ، ص٦٤.؛ حسين مؤنس: السيد القمبيطور،ص٦٤
(١١٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .
(١١٦) تاريخ الأندلس ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

جحاف "يطلب النزول مع أتباعه فى قصر وحدائق ربض منية ابن عبدالعزيز فأجابه "ابن جحاف"على طلبه مضطراً ، ولم يلبث "القمبيطور" أن استولى على الربض كله (١١٧) .

كما نزل باقى جنده فى ربض ريوسا ،وكانت الكدية وجبالة تحت يده فتم له بذلك تطويق المدينة وإحكام حصارها (١١٨) ، ولعل هذه كانت إحدى أخطاء " ابن جحاف " السياسية التى أخذت عليه واستغلها بنو واجب ضده وأثاروا عليه الأهالى ، وعلى الرغم من محاولات " ابن جحاف " لتبرير موقفه لم يستمع له الناس وتمردوا عليه وخلعوه من رئاسة الجماعة سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م وأسندوا الرئاسة إلى " أبى الحسن بن واجب " صاحب الأحكام ببلنسية (١١٩) ، وأغلقوا باب المدينة فى وجه "القمبيطور" ومن معه إستعداداً لقدوم المرابطين ، وزاد دفاع أهل المدينة عن بلدهم وقويت حميتهم وقد وصف ذلك ابن عذارى بقوله :"فوصلت الجيوش ومعها من المطوعة خلقاً كثيراً خيلاً ورجالاً واستقبلت بلنسية حتى أشرفت عليها واستشرف أهلها عليهم واستبشروا نصرهم والانتقام من عدوهم واستنشقوا ريح الحياة" (١٢٠) .

أما " القمبيطور" فكان يستعد لمقدم المرابطين فأحكم الحصار حول المدينة وقطع عنها جسور المياه فأغرقت الأراضى السهلة المحيطة بها ، وقسم جيشه إلى فرقتين كل منهما فى مكان إستعداداً لمواجهة جيش المرابطين ، وقد أنزل أشد أنواع التعذيب بمن كان يقع تحت يده من المسلمين ، وتحمل أهالى بلنسية كل هذه الضغوط أملاً فى حضور المرابطين، ولكن قائد جيش المرابطين " أبى بكر اللمتونى " غير مساره فجأة بعد إقترابه من بلنسية واتجه إلى مرسية ولم يعرف لذلك سبب واضح ، وذكر أن " أبا بكر " قد أرسل إلى بنى واجب رسالة يعتذر فيها عن إنصرافه لقلة الزاد وهطول الأمطار وتدافع السيول مما عطل

---

(١١٧) محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ،ص٢٨٠ ؛ Pidal : op Cit . P. 456 -458

(١١٨) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٤٢ .

(١١٩) محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٨١ ؛ Pidal : Op Cit . P. 466 .

(١٢٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .

مسيرة الجيش ، ووعدهم بالعودة إلى بلنسية قريباً لإنقاذها(١٢١)،وربما كان تعزيز "القمبيطور" للأراضى الجنوبية فى بلنسية وقطع الجسور سبباً فى تراجع الجيش المرابطى خوفاً من الهزيمة أمام النصارى بعد النصر فى معركة الزلاقة (١٢٢) . ولم يكن إنصراف القائد المرابطى بأمر من " ابن تاشفين " حيث أنه حين علم بما فعله أرسل إليه موبخاً ومؤنباً على هذا التخاذل ، بل ووصل الأمر إلى عزله عن ولايته (١٢٣) .

وقد انتهز"السيد القمبيطور"هذه الفرصة وشدد الحصار على بلنسية ، وزاد تنكيله بأهلها مستغلاً ما أصابهم من اليأس وخيبة الأمل ، وأملاً فى دفعهم إلى تسليم المدينة . وقد صور ابن عذارى حالهم فقال :" فبهت أهل المدينة ، وسقط فى أيديهم ويئسوا من الحياه " ، فى الوقت الذى عاد فيه "القمبيطور إلى التشدد فى جباية الضرائب واستنزاف الأموال وحظر الدخول والخروج على المدينة خوفاً من تسرب المرابطين "فأقام يجبى الرعية ويوجه المغيرة ، ويمنع من الدخول إلى المدينة ، ويعيث فى فل الفار منها ، ومن تحرك من قريته أو شعر بحركته يستبعد أهله وولده ، فلم يقم أحد على التحرك ولاحدث نفسه بالتجول(١٢٤) .

وهكذا بلغت القسوة بـ"القمبيطور" أقصاها، واشتدت المجاعة على أهل بلنسية حتى أكلوا الجلود والدواب، وأسهبت المصادر فى ذكر ماحدث لهم فصور ابن بسام هذه الحالة بقوله:"وقوى طمع لذريق ببلنسية فلازمها ملازمة الغريب، وتلذذ بها تلذذ العشاق بالرسوم ، ينتسف أقواتها ويقتل حماتها ويسبق إليها كل أمنية ويطلع عليها من كل ثنية فرب ذرية عز قد طالما تلددت الأمانى والنفوس دونها ويئست الأقمار والأشماس من أن تكونها ، قد ورد ذلك الطاغية يومئذ معينها ، وأذال مصونها ، ورب وجه كانت تدميه الذر

---

(١٢١) Pidal : opcit. P. 467 حسين مؤنس : السيد القمبيطور وعلاقته بالمسلمين ، ص ٦١ .؛ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣١٦ .؛ حمدى عبدالمنعم: تاريخ المغرب والأندلس ، ص٧١

(١٢٢) محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٨٢ .

(١٢٣) ابن علقمة : البيان الواضح ، ملحق بالبيان لابن عذارى ، جـ ٤ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .؛ حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص ٦١ .

(١٢٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .

وتحسده الشمس والبدر ، ويتغاير عليه المرجان والدر، قد أصبح درية لزجاجة ونعلاً لأقدام أراذل أعلاجه ، وبلغ الجهد بأهلها والامتحان أن أحلوا محرم الحيوان " (١٢٥) . فى حين ذكر ابن عذارى :" أيقن من فيها بالمهلكة ، وغلب على الناس اليأس ، وضاقت النفوس وزاد حقد العدو وقسا قلبه ، وهلك أكثر الناس جوعاً ، وأكلت الجلود والدواب وغير ذلك ومن فر إلى المحلة فقئت عيناه أو قطعت يداه أو دقت ساقاه أو قتل ، فرضى الناس بالموت فى المدينة ، وزادت هذه الأزمة على أزمة طليطلة أضعافاً لانفساح مدة الحصار وتضاعف حقد العدو لصبرهم وطلبهم للنصر " (١٢٦) .

وانقلب أهالى بلنسية على بنى واجب الموالين للمرابطين، وحملوهم سبب محنتهم وندموا على عزل " ابن جحاف " ، وأملوا فيه للخلاص من النصارى دون انتظار المرابطين وكان القاضى " ابن جحاف " يتحسر على حالة بلنسية وما وصلت إليه ، وعرض عليه أهلها الرئاسة مرة أخرى ، فاشترط عليهم الطاعة فتعهدوا بها ، وبويع برئاسة الجماعة مرة ثانية فى ٤٨٧هـ١٠٩٤م (١٢٧) .

وكان أول مافعله"ابن جحاف"أن أمر باقتحام الدور فحصاً عن القوت للتخفيف من حدة المجاعة (١٢٨) ، كما فكر فى العودة إلى سياسة اللين مع " السيد القمبيطور" وعرض عليه إتاوة كبيرة مقابل فك حصار المدينة،واستشار أعيان المدينة فى ذلك، فاعترض بعضهم ومنهم بنو واجب الذين كانوا يأملون فى معاونة المرابطين ، لكن " ابن جحاف" كان قد سئم المعارضة الدائبة وبخاصة امام حالة المدينة التى كانت على حافة الفناء ، فعزل " الحسن بن واجب "عن الأحكام، ثم بدأ بالفعل التفاوض مع "القمبيطور" وساعده على ذلك أنه لم يكن موجوداً بالسلطة حين نقض أهل بلنسية الاتفاقية السابقة ، ولكن

---

(١٢٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٩٧ .
(١٢٦) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .
(١٢٧) Pidal : Op. Cit , P. 468 .؛ حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص٦٢،٦٣ .؛ محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٨٢ .
(١٢٨) ابن عذارى : البيان جـ ٤ ، ص ٣٨ .

"القمبيطور" إشترط خروج بنى واجب من بلنسية حتى يبدأ التفاوض ، وكانت فرصة للقاضى"ابن جحاف "ليتخلص من مناوئيه من بنى واجب الذين أفسدوا بينه وبين أهالى المدينة ، فقام باعتقالهم وتسليمهم لـ " القمبيطور" فقتلهم(١٢٩) .

وقد ذكرت بعض المصادر الأسبانية أن أهالى بلنسية حنقوا على " ابن جحاف " وفكروا فى عزله غضباً لما فعله مع بنى واجب ، فانتقم منهم (١٣٠) بالسجن والأذى . على أن هذا القول يبدو متناقضاً فكيف يغضب أهالى بلنسية من أجل بنى واجب مع أنهم كانوا حانقين عليهم وحملوهم أسباب ماحل بالمدينة وأنهم أنصار المرابطين الذين خذلوهم، كما أنهم هم الذين عزلوهم وأقاموا " ابن جحاف " وتعهدوا بطاعته ، كما أن المصادر العربية لم تشر إلى قسوة " ابن جحاف" أو إقدامه على سجن الأهالى ، ويبدو أن المصادر الأسبانية قد أرادت تشويه صورة " ابن جحاف " باعتباره رمزاً لعلماء الدين الذين سلكوا كل سبيل للدفاع عن أرضهم ، وحتى يبدو " القمبيطور " بطلاً على حساب "ابن جحاف " ، وإن كان من الإنصاف الإشارة إلى غضاضة تسليم رجال مسلمين إلى النصارى مهما كانت أفعالهم ، حتى إذا كانت الظروف السياسية قد إقتضت ذلك من وجهة نظر " ابن جحاف" إلا أنه أمر غير مقبول مهما كانت مبرراته .

وقد جارى " ابن جحاف " القمبيطور ووافقه على طلبه فى النزول بقصور بلنسية وقام " القمبيطور"بهدم القنطرة خوفاً من مداهمة المرابطين له وربما لإحكام الحصار على بلنسيه، وكان " القمبيطور" على يقين من ضعف موقف القاضى " ابن جحاف " وبخاصة بعد أن استجاب لشروطه فتمادى فى مطالبه ، فطلب أن تسلم له موارد المدينة بل وطلب أن يترك له " ابن جحاف " ابنه كرهينة ، وعندئذ ثار " ابن جحاف" ورفض مطلبه ، وأصر على مقاومته ، وأغلق أبواب المدينة دونه ، وكتب إلى أمير المسلمين " يوسف بن تاشفين "

---

(١٢٩) Primera Cronica general : Op. cit , p.576 . 579

(١٣٠) أنظر حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص ٦٥ .

يستصرخه لنجدة بلنسية من حافة الهاوية ، وقد ذكر ابن بسام :"على بعد داره وتراخى قراره تارة يسمعه ويحركه وتارة ينقطع دونه ولايدركه " (١٣١) .

كما أرسل إلى " المستعين بن هود " صاحب سرقسطة الذى طالما حلم بالاستيلاء على بلنسية،وكان قد استعان بـ" القمبيطور" قبل ذلك لهذا الغرض ، وأرسل "المستعين" إلى " ابن جحاف " يعده بالمساعدة (١٣٢) .

كما أرسل القاضى "ابن جحاف"إلى" ألفونسو السادس" يطلب نجدته فبعث إليه يعده بالعون (١٣٣) ، ولعل هذه إحدى أخطاء " ابن جحاف " التى أخذت عليه وأضافت جديداً لما انتقده عليه بعض المؤرخين .

أما "القمبيطور" فقد شدد الحصار على بلنسية، وقطع عنها المرافق ، ونصب المجانيق على أبوابها، ونقب أسوارها، وعاث فساداً فى قلاعها وقراها، وواصل الضغط عليها حتى تستسلم قبل أن تأتيها النجدة، واستمر على ذلك عشرين شهراً "عدم الناس الطعام وأكلوا الفيران والكلاب والجيافَ إلى أن أكل الناس الناس ، ومن مات منهم أكلوه ، فبلغ الناس من الجهد مالايطيقون " (١٣٤) ، وهذا القول وإن كان يؤكد حجم معاناة أهالى بلنسيه إلا أنه مبالغ فيه إلى حد كبير.

وقد أشار محمد عبد الله عنان إلى كتاب البيان الواضح لابن علقمة (٤٢٨-٥٠٩هـ/١٠٣٧-١١١٠م) الذى كان معاصراً لمأساة بلنسية ، وشاهد عيان على الأحداث، فقد عبر عن استبسال أهالى بلنسية المسلمين فى مقاومة النصارى،وهو ما أكده ابن الخطيب وكذلك المصادر القشتالية المعاصرة واللاحقة وعلى الأخص مدونة تاريخ

(١٣١) الذخيرة ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٩٨ ، ٩٩ .
(١٣٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ٣٨ عن ابن علقمة .
(١٣٣) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٤٣ .؛ لنفس المؤلف : مواقف حاسمة ، ص١٢٤ .
(١٣٤) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

ألفونسو(١٣٥) ، فقد أشار إلى أن القاضى "ابن جحاف " كان قد استصرخ " المستعين بن هود " صاحب سرقسطة ورغبه فى المال والبلد مع الأجر فى إنقاذ المسلمين من القتل والأسر، ولم يكن فى استطاعة " ابن هود " المعاونة حيث لم يكن يقدر على مواجهة جيوش "القمبيطور" وبخاصة أنه كان يدفع له الجزية خوفاً منه وطلباً لحمايته ، كما أنه كان يخشى مجئ المرابطين واستيلائهم على سرقسطة وأن الفضل فى احتفاظه بسرقسطة يرجع إلى إستعانته بالقنبيطور ترجع إلى إستعانته بـ" القمبيطور". أما ملك قشتالة "ألفونسو" فلم يكن ليقف مع المسلمين ضد النصارى وبخاصة أن ما فعله " السيدقمبيطور" يؤيد حركة الاسترداد التى كان يسعى هو إليها . وإذا كان لكل من " ابن هود " و "ألفونسو"حجته فما هى حجة " يوسف بن تاشفين " فى التخاذل عن نصرة المسلمين ضد حصار النصارى ؟ فقد ذكر بعض المؤرخين أن " ابن تاشفين "قد غضب من"ابن جحاف " لتسليمه بنى واجب لـ " القمبيطور" وقتلهم (١٣٦) ، ولكن ماذنب مسلمى بلنسية فى ذلك ؟ وعلى أية حال فقد ساء وضع القاضى " ابن جحاف " وحنق الناس عليه ،ووصلت البلاد إلى أقصى درجات الضعف ، ومات من الناس أعداد كبيرة حتى بدأت تظهر ملامح الاستسلام لـ "القمبيطور"، فذكر ابن عذارى:" لما بلغ أهل بلنسية الماء الذبى وانتهوا من الصبر الغاية القصوى ، ولا نصر ولا غوث ، ألجأتهم الحالة إلى دخول العدو بحكم الإضطرار لا بحكم الإختيار"(١٣٧)،وكان على رأس المتجهين إلى الاستسلام

(١٣٥) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .
(١٣٦) حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص ٦٠ .
(١٣٧) البيان ، جـ ٤ ، ص ٣٤ .

" أبو الوليد الوقشى" (١٣٨) و"ابن عبدوس" ، وحدثت مناقشات بين " ابن جحاف " و " الوقشى " لكنها لم تفلح ، فاتصل الأخير بـ " القمبيطور" ليسهل أمر التفاوض .

ولم يجد القاضى " ابن جحاف " من وسيلة سوى التسليم إستجابة لطلب من أهالى المدينة ، فأذعن لرأيهم وترك لهم المفاوضة فأرسلوا وفداً من الأعيان فاوض "القمبيطور"، واتفقوا على إرسال مندوبين عنهم إلى أمير سرقسطة وقائد المرابطين فى مرسية طلباً للنجدة خلال خمسة عشر يوماً يقوم خلالها " ابن عديس " بالإشراف على المدينة وتسليم أبوابها للنصارى (١٣٩) ، فإذا لم يأتهم أحد لنجدتهم سلموا المدينة للقمبيطور بشرط أن يظل " ابن جحاف " حاكماً وقاضياً ويؤمن فى أمواله وأهله ونفسه كما يؤمن أهالى بلنسية على أنفسهم وأموالهم وأن يتولى مندوب " القمبيطور" الإشراف على تحصيل الضرائب ، وأن تحتل المدينة حامية من النصارى المعاهدين الذين يعيشون بين المسلمين ، وأن يرابط " القمبيطور" بجيشه فى جبالة وألا يغير شيئاً من شرائع المدينة وأحكامها (١٤٠) . ومرت الخمسة عشر يوماً دون وصول أى نجدة فتسلم " القمبيطور" المدينة فى اليوم التالى ٢٨جمادى الأولى ٤٨٧هـ١٥يونية ١٠٩٤م (١٤١)،ووقع "القمبيطور"

---

(١٣٨) أبو الوليد الوقشي هو هشام بن أحمد بن خالد الكنانى والوقشى نسبة إلى بلده وقش القريبة من طليطلة ، فقيه ملم بالأدب وعالم فى اللغة ، ولد ٤٠٧هـ وقيل ٤٠٨هـ ، شاعر وحافظ للسنن وبصير بالهندسة والحساب وعلم الفرائض ، كتب قصيدة مؤثرة عن سقوط بلنسية ترجمت للقشتالية ، وذكر ابن بشكوال أنه نسبت إليه أشياء الله أعلم بحقيقتها ويبدو أنها تتصل بإقناعه أهالى بلنسية بالإستسلام وتوسطه لدى ابن جحاف فى ذلك وظل على ولاء للقمبيطور بعد سقوط بلنسية. أنظر : الضبى : بغية الملتمس ، جـ ٢ ، ص ٦٥٩ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦١٧.؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧ .؛ الزركلى : الاعلام ، جـ ٨ ، ص ٨٤ .؛ الطاهر مكى: دراسات فى الأدب والتاريخ والفلسفة ، دار المعارف ، القاهرة ، طـ ٣ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٥٦ .

(١٣٩) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ٣٩ .

(١٤٠) نفس المصدر ، ص ٣٤ .؛ محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية فى الأندلس وشمال إفريقيا ، ١٩٨٠م ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(١٤١) ذكر ابن بسام وابن عذارى أن تسليم المدينة سنة ٤٨٨هـ ، أما ابن الأبار وابن الكردبوس فذكروا أنه فى ٤٨٧هـ ، ومن المرجح أنها سلمت سنة ٤٨٧هـ . أنظر محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ص ٢٤٤ .؛ لنفس المؤلف : مواقف حاسمة ، ص ١٢٤ .

والنصارى مع" ابن جحاف " وأعيان المدينة عقداً بتسليمها ، وتعهد " ابن جحاف " بتسليم أموال " القادر بن ذى النون " للقمبيطور (١٤٢) .

ودخل " السيد القمبيطور" بلنسية مع جنده ومالبث رجاله أن إحتلوا أبواب وأبراج المدينة خلافاً لشروط المعاهدة ، ونزل "القمبيطور" بالقصر ، ثم جمع أعيان المدينة وألقى فيهم خطاباً وعد فيه الناس بالعدل والأمان وتطبيق شريعة الإسلام، وعدم المساس بأراضى الناس أو بيوتهم أو أموالهم ، وأن كل منهم سيستأنف عمله كما كان سابقاً ، وأمر القائمين على جباية الضرائب بألا يأخذوا من أهل المدينة سوى العشر كما تقضى شريعتهم ، ووعدهم بالجلوس لسماع المظالم مرة كل أسبوع ، كما ذكر أنه لايحب الشراب ولا النساء ولا الغناء كما كان يفعل الحكام المسلمون ، وقال بأنه سيكون قاض يفصل بينهم فى المنازعات بالعدل ، كما ذكر لهم أن " ابن جحاف " إذا كان قد إعتدى على بعضهم وظلمه وسلب أمواله ليهديها إليه فإنه لا يريد هذه الأموال التى ليست من حقه وإذا كان لأحد من أهالى بلنسية حقاً لدى " ابن جحاف "فليأخذه منه، كما أشار إلى أنه لن يبقى فى الأسر أى مسلم أو مسلمة وأنه لا يرغب فى الإقامة فى بلنسية وسوف يتخذ منزلاً عند القنطرة يقيم فيه عند الضرورة (١٤٣) .

ويتضح من خطاب " القمبيطور" مدى ذكاء وفطنة ذلك المغامر القشتالى الذى حاول استمالة أهل بلنسية ليأمن شرهم وبخاصة أنه كان يعلم أنهم استسلموا مجبرين بعد أن تخلى عنهم الحكام المسلمون وانهارت قواهم ، وأظهر لهم مدى معرفته لهذه البلاد كما أنه تحدث عن ملوك الطوائف وعن شريعة الإسلام بشكل واقعى ، وأظهر لهم عيوب الحكام المسلمين ، كما ظهرت نزعته الدينية حينما أشار إلى تمسكه بالعدل أفضل من الحكام

(١٤٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ١٤٨ . وقد ذكر ابن خفاجى شعراً فى رثاء بلنسية

عاثت بساحتك الظبا يادار ومحا محاسنك البلا والنار

كتبت يد الحدثان فى عرصاتها لا أنت أنت ولا الديار ديار

(١٤٣) Primera cronica general : Op. cit , p. 588- 590 .؛ حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

المسلمين ، وأظهر تعففه وقناعته فى أن تكون الضريبة العشر وهو مالم يحدث . كما أظهر كرهه لابن جحاف حينما أبدى أنه سيكون القاضى وهو أمر لا يتفق مع طبيعة ظهوره على الساحة السياسية وكان بذلك يسعى لتفتيت حكم الجماعة والتقليل من شأن قضاة المسلمين وهز ثقة الأهالى فى " ابن جحاف " ، وسلك ما ينافى الشريعة الإسلامية التى حاول أن يظهر إحترامه لها وقد أكد بذلك حقده الدفين على الإسلام متمثلاً فى "ابن جحاف " الذى كان يعلم مدى حب الأهالى له وتمسكهم به وبخاصة أنهم فى إتفاقهم معه قد اشترطوا أن يظل " ابن جحاف " حاكماً وقاضياً ، ولتأكده بأن صمود بلنسية كان نتيجة لإصرار " ابن جحاف " على المقاومة ، كما أنه أراد أن يفسد بين الأهالى وبين " ابن جحاف " إدراكاً منه بأنه لن يطول قبوله للإستسلام فقد يجمع الناس ويثور عليه كما أنه أراد تفتيت الجماعة بدءاً ببنى واجب وانتهاءاً بابن جحاف .

وبالطبع لم ينفذ " القمبيطور " شيئاً مما وعد به فلم يجلس للمظالم وسمح للنصارى باحتلال دور المدينة وضياعها (١٤٤) ، ونقل الكثير من سكان بلنسية وأحل جنوده محلهم(١٤٥) .

وظل " ابن جحاف " فى منصبه قاضياً للمدينة بعد أن سلم " القمبيطور " أموال "القادر" وذخائره ، ولكن " القمبيطور" عاود السؤال عما بقى لديه منها واستحلفه أمام جماعة من المسلمين والنصارى فأقسم بالله على ذلك فأنذره " القمبيطور" بأنه سيستبيح دمه إذا ظهر كذبه ووافق " ابن جحاف"على ذلك . وما لبث " القمبيطور" أن عثر على المخبأ الذى أخفى فيه " ابن جحاف " ماتبقى من أموال " القادر" فأمر " القمبيطور" بإضرام النار بعد أن سجن " ابن جحاف " فترة أذاقه فيها العذاب ، وسيق "ابن جحاف" ومعه أهله وبنوه وسط جمع من أهالى بلنسية من المسلمين والنصارى وضع "ابن جحاف"

(١٤٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص٩٨ ، ٩٩ .؛ محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص٢٨٦، ٢٨٧ .
(١٤٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ٣٩ .؛ محمد أبو الفضل : قضاه ثوار ، ص ١٣٣ .
Lanepool : The Moors in Spain , p. 208

فى حفرة وسط النيران أخذ يضمها بيديه إستعجالاً للموت ، وأراد "القمبيطور" قتل نسائه وأولاده لولا توسل الأهالى (١٤٦) ولعل فى ذلك مايؤكد مجافاة "السيد القمبيطور" لكل ماادعاه من قيم وفضائل .

والحقيقة أن "القمبيطور" كان يكن حقداً وكراهية لابن جحاف ذلك الثائر الذى قتل "القادر بن ذى النون" لكونه كان دمية يحركها "القمبيطور" ، كما أنه جرأ الناس على الثورة ورفض الظلم ، كما أن "ابن جحاف" على قلة خبرته السياسية والعسكرية قد وقف ضده وتحداه وأصر على ألا يسلم المدينة إلا بعد إلحاح أهلها وهو مايؤيده "ابن علقمة" فذكر " ولم يكن غضب الطاغية عليه إلا لشدة صبره على تلك الأزمة واجتهاده لطلب النصرة ودفعه إياه بالمطاولة ، رجاءاً فى استمساك البلدة وإبقاء الكلمة " (١٤٧) ، وكان "القمبيطور" يدرك ملامح ثورة تلوح فى الأفق يسعى لها "ابن جحاف" ويعلم باتصاله سراً بالمرابطين كما حقد عليه لحب الناس له وثقتهم فيه ، فأراد أن يفقد الناس التوحد خلف القيادة تأكيداً للسياسة الظالمة فرق تسد ، وربما كانت حجة أموال "القادر" حيلة إستخدمها "القمبيطور" للإعراب عن حقده لـ"ابن جحاف" وسعياً للتخلص منه كما ذكر ابن بسام :" لعلها كانت منه حيلة أدراها ، وداهية من دواهيه سداها وأنارها" (١٤٨) وقد يكون إخفاء "ابن جحاف" لبقية أموال "القادر" تخطيطاً لتهيئة جيش أو الاستعداد للقيام بثورة لطرد النصارى فهو لم يكن ليقبل أن تتحول بلده إلى بلد نصرانى .

ولعل هذا قد جعل القاضى "ابن جحاف" رمزً للاستبسال فى سبيل الدفاع عن الدين والحق والأرض ، وقد ترك موته أثراً عميقاً فى نفوس أهل بلنسية ونفوس المسلمين

---

(١٤٦) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ٣٨ نقلا عن ابن علقمة .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٠٤ .؛ الزركلى : الأعلام ، جـ ٢ ، ص١٢٣ .؛ محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٨٧.

(١٤٧) ابن علقمة برواية ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص٤٨ .

(١٤٨) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

فى الأندلس بأسره وأصبح مثلاً للشجاعة والبطولة أدت إلى حزن المسلمين وكرههم للقمبيطور (١٤٩) .

ومن الموضوعية أن نشير إلى أن المصادر العربية قد بالغت فى وصف قسوة "القمبيطور" وشدته متأثرين بهذا الحادث المروع إذ لم يكن للعاطفة أى ونن إبان هذه الظروف وفى هذه الحقبة ، فقد إتضح خلالها كيف سلم "ابن جحاف" مناوئيه من بنى واجب للقمبيطور ليقتلهم وهو مصلحة السياسية . على أنه يصعب قبول محاولات المستشرقين فى تبرير فعلة "القمبيطور" أو الدفاع عنه ، فقد ذكر بعضهم أن "ابن جحاف" كان يستحق هذا العقاب وأن "القمبيطور" كان عادلاً فى عقوبته له (١٥٠) ، فقد أظهرت هذه الفعلة مدى سوء نفسية "القمبيطور" الذى بالغ فى تعذيب "ابن جحاف" وأهل بيته ليرضى حقده ولينشر الذعر بين الناس حتى لا يفكروا فى المقاومة .

وعلى الرغم من أن تحليل ليفى بروفنسال لهذه الحادثة قد بدا موضوعياً من وجهة نظره وذلك لكونه قد حكم باللاموضوعية على المصادر القشتالية المتعاطفة مع "القمبيطور"وبحكم أنه قد برر فعلة "القمبيطور" من أن القتل كان ظاهرة شائعة فى ذلك العصر إلا أن ذلك بعد على الموضوعية من وجهة نظر الكتاب المسلمين حيث لم يكن التعذيب والحرق جزءاً من هذه الظاهرة كما أنه من حاكم نصرانى لقاضى مسلم وهو أمر كان له تأثيره فى تعاطف المصادر العربية مع "ابن جحاف" (١٥١) .

---

(١٤٩) محمد أبو الفضل : قضاة ثوار ، ص ٢٨٨ .

(١٥٠) Menendez Pidal : Op. Cit , P. 553 - 668 .

(١٥١) ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٩٢ .

وعلى كل حال فقد انقلب "القمبيطور" ـ كما هو متوقع ـ على أهالى بلنسية فأمر بإحراق جماعة من أعلامها ومنهم الشاعر المشهور "أبو جعفر البتى" (١٥٢) وغيره .

وقد أشار "ابن علقمة" إلى سياسة "القمبيطور" بعد قتل "ابن جحاف" فقال "عمد الطاغية لذريق إلى الجله من أهل بلنسية ، فثقفهم وأغرمهم حتى استأصل جميع ماعندهم وجعل الناس فى المحنة أسوة ، يأخذهم على طبقاتهم حتى عمتهم المحنة وهلك فى ذلك كثير منهم ، رحمهم الله وجعلها كفارة لهم " (١٥٣) .

وانضم تحت لواء "القمبيطور" أشرار المسلمين الذين أذوا إخوانهم المسلمين وذلوهم وتسموا بالدوائر، وقد عاثوا فى بلنسية فساداً، وانضمت منهم جماعة أخرى إلى "ألفونسو" وفتنوا فى أديانهم وسلبوا جملة إيمانهم (١٥٤) ، وهجر الكثير من البلنسيين مدينتهم ، واحتل النصارى دورهم وأحياءهم ، وكانت حالة أهل بلنسية فى ذلك الوقت تنبئ بثورة ضد النصارى شجعهم على القيام بها نبأ وجود المرابطين فى مرسية الذين جاءوا تلبية لندائهم ، وقد ذكر ابن بسام :" وتجرد أمير المسلمين عندما بلغه النبأ الفظيع واتصل به هذا الرزء الشنيع ، فكانت قذى أجفانه ، وجماع شانه، وشغل يده ولسانه ينصب إليها الرجال ، وينصب عليها الحبائل والحبال "(١٥٥) ، وورد عند ابن علقمة أن النصارى القشتاليين لما علموا بمقدم المرابطين ، وخشوا من اتصال البلنسيين بهم ، وأعلنوا أنه متى نزلت عليهم محلة المسلمين أمضوا السيف على أهالى بلنسية ، وقد منعوا أهالى بلنسية من إقتناء أى أدوات حديدية فتخلص الناس من أية أداة حديد حتى الإبر والمسامير،

---

(١٥٢) أبو جعفر البتى هو أحمد بن عبدالولى البلنسى وكنيته أبو جعفر ، وقد ورد أسمه "البنى" عند ابن خاقان ، كان قائما على الآداب وكتب النحو واللغة والأشعار ، ووردت عند ابن خاقان ، أحرقه القمبيطور سنة ٤٩٠هـ . أنظر ابن خاقان ، قلائد العقيان ، جـ٤ ، ص ٨٦٨ ، أحرقه القمبيطور سنة ٤٩٠هـ .؛ ابن خاقان : المطمح ، ص ٣٦٩ .؛ السيوطى : بغية الوعاه ، جـ١،ص٣٣٢؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ٢ ، ص٣٥٧ .؛لنفس المؤلف : رايات المبرزين وغايات المميزين،ت: النعمام عبد المتعال ،القاهرة ،سنة١٩٧٣م،ص١٢٨.

(١٥٣) ابن عذارى نقلا عن ابن علقمة : البيان ، جـ٤ ، ص٣٨ .؛ وأنظر أيضا ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٢٠٥ .؛ المطرزى : المغرب ، ص١١٨ .

(١٥٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ،جـ١ ، ص١٠٠ .؛ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص١٠٤،١٠٣ .

(١٥٥) ابن بسام : نفسه .

وألقوها بباب القصر، واشتد الجزع والخوف بالمدينة من ضغط النصارى عليهم وأخذوا إحتياطاتهم خوفاً من إتصال أهالى بلنسية بالمرابطين ومساعدتهم على طرد النصارى (١٥٦).

وراسل الأمير "يوسف بن تاشفين" كل من حاكم غرناطة المرابطى وأمراء لاردة وطرطوشة وألبونت وشنتمرية إلى حشد الجنود لإنقاذ بلنسية ، وأرسل جنوده تحت قيادة "محمد بن عائشة"، واحتشدت الجيوش وانطلقت صوب بلنسية فى رمضان ٤٨٨هـ أكتوبر١٠٩٤م (١٥٧).

وكان "القمبيطور" قد طرد من شك فى ولائه من أهل بلنسية وقتل من ادعى أنه من أهل النجدة (١٥٨)، وقد جاء ملك أراغون ليقف إلى جوار "السيد" ضد المسلمين وبالحيلة تمكنوا من هزيمة المسلمين، وفرحوا بنصرهم وإزداد ظلمهم لأهالى بلنسية ، وسلط "القمبيطور" عليهم وزيره اليهودى "ابن الفرج" الذى سلب أموالهم وزاد تعذيبهم (١٥٩).

وكذلك فقد سره نصره، وأرسل إلى زوجته وأولاده واستقر فى بلنسية وعاش بها ملكاً متوجاً ، وحول مسجدها إلى كاتدرائية سماها سانت ماريا .

وفى هذه الآونه كان المرابطون قد اتجهوا نحو طليطلة وتقابلوا مع "ألفونسو" وهزموه ثم ساروا إلى قونكه وهزموا القشتاليين وقتل ابن "السيد" الوحيد "دون ديجو"(١٦٠) ثم اتجه المرابطون إلى بلنسية مرة أخرى واستطاعوا أن يوقعوا الهزيمة بالقمبيطور، وكان المرض قد اشتد عليه فمات سنة ٤٩٠هـ١٠٩٩م (١٦١)، وحاولت زوجته

(١٥٦) ابن عذارى نقلا عن ابن علقمة : البيان ن جـ ٤ ، ص٤٠ .
(١٥٧) نفس المصدر ، ص٤٠ .؛ كمال أبو مصطفى : بنو رزين دورهم السياسى والحضارى فى إمارة شنتمرية الشرق ، كلية التربية ، جامعة الإسكندرية ، م.٣٥ ، سنة١٩٨٧م ، ص ٢٢٤ .
(١٥٨) ابن عذارى نقلا عن ابن علقمة : البيان ، جـ ٤ ، ص٤١ .
(١٥٩)نفس المصدر: ص٤١ .؛ ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٩٣ .؛ حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص ٧٦ .
(١٦٠) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٠٩ ، ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٩٤ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٤٧ .
(١٦١) محمد عبد الله عنان : نفس المرجع، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨
Lanpool : The Moors In Spain , p. 211

الدفاع عن المدينة على مدى عامين وحاولت الاستنجاد بـ "ألفونسو السادس" بحكم قرابتها له ، والتقوا مرة أخرى مع جيش المرابطين بقيادة الأمير "مزدلى" (١٦٢) ، فوقعت بهم هزيمة أخرى فأشعلوا النيران فى الجامع والقصر وبعض الدور ، ودخلها الأمير "مزدلى" فطهرها من دنس الشرك ، وعادت راية الإسلام ترفرف بها ونورها يضيؤها فى رمضان سنة ٤٩٥هـ١١٠١م (١٦٣) .

وإذا جاز أن نعقد مقارنة بين كل من "ابن جحاف" و "ابن عباد" و "ابن جهور" كفقهاء لعبوا دورا سياسيا ومدى نجاحهم فى هذا المجال على إختلاف ظروف وأسباب توليهم للحكم، فإن شخصية "ابن جحاف" تختلف تمام الإختلاف عن شخصية "أبى القاسم بن عباد"، فابن جحاف كان قاضياً فى المدينة لم يتطلع إلى المنصب حباً فى الرياسة أو سعياً وراء مطمع شخصى ، ولكن الظروف هى التى حتمت عليه فلم يرض الظلم والإستبداد اللذين حكم بهما "القادر بن ذى النون" هذه الدمية التى لعب بها النصارى وكانت مجرد ستار وراء أطماعهم ، فلم يرض بالحاكم الذى كان ينفذ مطالب النصارى ويثقل كاهل العامة من أجلهم ولذا قام بالثورة . وكان وصوله إلى منصب رئيس الجماعى باختيار أهالى بلنسية ، وظل متمسكاً بالجماعة طوال مدة حكمه على عكس "أبو القاسم بن عباد" الذى إستخدم كل الأساليب للوصول إلى الحكم وغدر بـ "القاسم بن حمود" للإنفراد بحكم إشبيلية وكان يسعى وراء المنصب والمصلحة الشخصية ، كما أنه بمجرد أن وصل إلى الحكم غدر بأعضاء الجماعة وتخلص منهم ليحكم إشبيلية حكماً منفرداً . وإذا كان "ابن جحاف"عالم دين وغيور على الإسلام متمسكاً به ثائراً من أجله

---

(١٦٢) ابن عذارى نقلا عن ابن علقمة : البيان ن جـ ٤ ، ص٤٠، ٤١ .؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، جـ ١ ، ص١٠١.؛ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص١٠٩ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص٤٤٨ .؛ حمدى عبدالمنعم : تاريخ المغرب والأندلس ، ص٧٣،٧٤ .

(١٦٣) مزدلى هو ابن بعلبنكان أو ملنكان ابن عم يوسف بن تاشفين فتح العديد من مدن الأندلس فى عصر الطوائف ، وجهت إليه بعض التهم فعاد إلى مراكش وبرأ نفسه منها ، قاد العديد من الحملات ضد النصارى ومات فى إحداها مع القشتاليين سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٥م . أنظر ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، جـ١ ، ص١٠١ .؛ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١١٠، ١١١ .

فإنه ليس كما إتهمه بعض المؤرخين يراوغ المرابطين تارة والنصارى تارة أخرى لينفرد بحكم بلنسية (١٦٤) ، وإنما كان ضعف قوته العسكرية وعدم قدرته على الدفاع عن بلدته هو الذى أجبره على التفاوض حتى يصل إلى قدر من الأمان الذى كان يتمثل عنده فى إبتعاده عن مطامع النصارى .

أما "أبو القاسم بن عباد" فقد غدر بحاكم مسلم عرف بالصلاح هو "القاسم بن حمود" ، وتحالف مع صاحب قرمونة "البرزلى"، وتخاصم مع "ابن الأفطس" وغيره لتوسعة أملاكه على حساب حكام مسلمين. وسبق توضيح كيف تخلى "أبو القاسم بن عباد" عن شخصيته كعالم دين، ونسى وظيفته كقاضى . ولم يتشابه "ابن عباد" مع "ابن جحاف" إلا فى مظاهر الترف والأبهة ، فى حين كانت الحنكة السياسية التى تمتع بها "ابن عباد" هى ما افتقده "ابن جحاف" فكانت من أبرز عوامل فشله فى النهاية . ولو أنه كان سياسياً ناجحاً لاستغل أموال "القادر" التى حصل عليها بعد توليه الحكم مباشرة فى تجهيز جيش قوى يساعده فى الدفاع عن المدينة ، بخلاف بعض الأخطاء التى كانت وراء فشله .

أما "أبو الحزم بن جهور" الذى كان رئيساً للجماعة بقرطبة أيضاً فكان يختلف عنهما وبخاصة فى عزوفه عن أى مظهر من مظاهر الحكام، فظل فى منزله وبنفس ردائه واستمر متمسكاً بإمامة الناس فى الصلاة ، كما أنه كان سياسياً محنكاً استطاع أن يخرج بقرطبة من دائرة الإنهيار الإقتصادى ، وكان محبوباً لدى العامة فى قرطبة لكونه كان مثالاً للفقيه الناجح فى كافة المجالات كما هى طبيعة الحكام المسلمين المحنكين .

(١٦٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، جـ١ ، ص٩٣ .؛ حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٠٨ .